الى القارئ

صلب الموضوع

إنما الأمم بشبابها ، بأجيالها الصاعدة وطاقتهم على الخلق والابداع وعزيمتهم على صنع تاريخهم بأنفسهم والاسهام فى إثراء الحضارة الانسانية ·

تلك حقيقة يتأكد منها كل من استقرأ أحوال البشر ، ماضيا وحاضرا ، ولا يكاد فى الواقع يختلف حولها الناس · غير أنهم يذهبون مذاهب متباينة كلما تبينوا الطرق الكفيلة بتنشئة الشباب وتربيتهم بحيث يشعرون بالحافز الى طلب العلا ويكتسبون القدرة على بلوغ المستوى الأخلاقى والعلمى الذى يؤهلهم الى الانتاج الطريف والاشعاع البعيد ·

ومن بين هذه الآتجاهات التى تقترح مسلكا يضمن وحده الرقى والكرامة للافراد والجماعات نذكر الاتجاه العلموى ·

ونحن نؤمن بأن « العقلية » العلمية والاقبال على التقنيـة والتكنولوجيـا ـ لا آستهلاكا فحسب ـ كما هو الشأن مع الأسف فى بلدان العالم الثالث ـ بل انتاجا واستنباطا وسبقا الى الاكتشاف الطريف والتطبيق الماهر المفيد ، من الضرورات الحيوية المتأكدة ، وأنه لا استقلال كامل ولا كرامة حق ما لم نلتحق بركب العلوم العالمى وما لم نول البحث العلمى فى اهتماماتنا القومية وفى ميزانيتنا ومعاهدنا العليا المرتبة المرموقة ·

لكن هل يكفى أن نقلد الدول المتقدمة فى هذا الميدان أو أن «نلتصق» بهم؟ أليس البون بيننا وبينهم شاسعا بحيث يخشى أن يصاب شبابنا بمركب النقص أو أن يعمق فيهم داء العقـد الموروثة عن عهود الانحطاط والاستعمار فيبلغ بهم اليأس مبلغا يصبحون معه زاهدين فى الاستقرار والعمل بأوطانهم، مفضلين العيش فى العواصم الغربية ، فتستفحل بذلك ظاهرة هجرة الأدمغة ويستمر العالم الثالث فى إعانة الدول المتقدمة بالاطارات العليا كما يسعفها بالسواعد المفتولة للقيام ـ خاصة ـ بالاشغال « الشاقة » التى أصبح القوم يستنكفون منها ويعرضون عنها إعراضا ·

على أن ظاهرة انجذاب العلماء ـ أو المترشحين لبلوغ مقام العلماء ـ بأنوار البلدان المتقدمة ليست جديدة إذ عبر عنها الكـاتب الاسبـانى « الفـارو » Alvaro منذ أحد عشر قرنا فى شىء من المرارة والتحسر فقال فى تآليفه Indiculus Luminosos : « من بقى يدرس الاناجيـل وسيـرة الانبيـاء والحواريين ؟ لا أحد ويا للأسف ! إن المسيحيين الشبان الـذين يسترعـون الانتباه بمواهبهم ليس لهم معرفة بأى أدب غير الأدب العربى وبأية لغة غير اللغة العربية · فهم يتهافتون على دراسة الكتب العـربية وينفقـون طائـل

الأموال لتعمير مكتباتهم بها ويلهجون أينما حلوا بذكر العلم العربي ! » (1) ولاحظ ميشال شدكويتش Michel Chodkiewicz في العدد 5 من مجلة « البحث » (La Recherche) لشهر اكتوبر 1970 أنه في حين كان الشبان المسيحيون مفتتنين بالعلم العربي كان الأمراء العرب يوفدون الى مختلف أنحاء العالم المتحضر من يبحث عن المواهب العلمية ويستأجرها فكانوا يتخاطفون الكفاءات من علماء فلك وهندسة وأطباء ... وفي نطاق هذا السجال يدخل التنافس الذي حصل بين بغداد والقسطنطينية للحصول على خدمات عالم الرياضيات LEON وقد ذاع صيته قبل أن يخمل ذكره في العصور الحديثة . فلما علم الامبراطور أن الخليفة يبذل مالا طائلا لاستئجار LEON حجر عليه الذهاب الى أرض « الكفرة » وأغراه بتعيينه على رأس أسقفية وكان ذلك سنة 840 (م) .

لذلك فمهما كانت العواصم التي تألق نجمها في سماء العلم والمعرفة ، أثينا أو روما أو بغداد والقيروان وقرطبة أو باريس ولندن ومختلف المدن الجامعية بالولايات المتحدة ... فان الذي يغري المهندسين والأطباء والعلماء ويحفزهم ليس فقط المرافق المادية والمكاسب الاقتصادية بل كذلك الوسائل الفنية الكفيلة بابراز عبقريتهم وحرية البحث وخاصة المناخ النفسي والثقافي الملائم ، أي الايمان بالذات والثقة بمستقبل البلاد التي ينتسبون اليها أو يلوذون بها والمنزلة التي ينزلهم فيها ذووهم وأولو الأمر فيهم .

فاذا كان ذلك ، وجب مع التنويه بالعلم والتكنولوجيا أن نعني بتربية شبابنا تربية ملائمة فنشيع فيهم منذ نعومة أظافرهم الشعور بالعزة والنخوة بالانتساب الى أمة يجب أن تتبلور في وعيهم مقوماتها الاساسية وترسخ في أعماقهم رسوخا ، وتتضح لهم قيمها العليا في الحياة وضوحا ، أي أمة لها ثقافة قومية أصيلة تعطي الحياة والجهاد من أجل الحياة الحق معنى وهدفا ، بل تكيف الحياة وتفرض إرادة القوم على الحياة ، عوض أن تكون مكيفة بالتطور الاقتصادي راضخة لقانون الاستهلاك ، مستجيبة لرغائب النفس ، مشجعة على تقليد الغير .

ثم اذا نحن طوينا المراحل طيا والتحقنا بقافلة الامم المتقدمة علميا فأصبحنا نكتشف ونبدع ونصنع ، وهي مرحلة سوف نبلغها من دون شك اذا ما عرفنا كيف نمهد لها ونخلق أسبابها المادية والثقافية ، هل معنى هذا أننا ظفرنا بمفتاح السعادة وتجاوزنا كل المتناقضات والسلبيات ؟ بل هل أن العالم المتقدم الذي نزل رواده على سطح القمر وحقق علماؤه المعجزات في كل الميادين ، وفق الى سر السعادة الحق وضمن للأجيال الطالعة الاستقرار

---

(1) *« Qui étudie les Evangiles, les Prophètes et les Apôtres ? Hélas ! les jeunes chrétiens qui se font remarquer par leurs talents n'ont connaissance d'aucune littérature ni d'aucune langue en dehors de l'Arabe. Ils lisent et étudient avec avidité les livres arabes ; il remplissent à grands frais toutes les bibliothèques et partout chantent*

النفسي والتوازن الذاتي والانسجام الاجتماعي ؟ هل زال القلق وتضاءل العنف واختفت ظاهرة الانتحار في الدول الغنية والمصنعة ؟ هل استقر النظام التربوي عند تلك الاقوام وزالت فيها الشحناء بين الاجيال وأمحى التفاوت بين طبقاتها الاجتماعية ؟ أم هل ان هذه « الجروح » ضريبة محتومة للتقدم ؟ !

ان كل من يتصفح ما ينشر في البلدان المتقدمة من كتب ومجلات ويصغي الى ما يقول المفكرون وأهل الرأى فيها يلاحظ أن الشباب لم يشعروا قط بالوحدة والعزلة كما يشعرون بهما اليوم لأن المذاهب الروحية والايديولوجيات أصبحت كأنها عاجزة عن التوجيه والارشاد والاشارة الى أقوم المسالك الى التوازن الذاتي والاجابة عن الاسئلة الكبرى التي لم يزل البشر يطمحون الى جواب شاف عنها لأنها تتعلق بأصل الحياة ومعنى المعاد وسر الوجود وحقيقة الموت ٠

ان الذي يلاحظه الكثيرون من مفكري الغرب هو أن العلم الذي علقت عليه الآمال العريضة في آخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن ليضمن للانسان السعادة المادية والروحية قد أخفق في تحقيق هذا الامل بل إنه أعان عن لسان أكبر المشتغلين به والواقفين حياتهم من أجل تقدمه أن مطمحه أصبح متواضعا وأنه لن يكشف الا عن جانب واحد من الواقع وأن اكتشافاته تحتاج الى ضمير حي مرهف ومجتمع متحضر لتستغل في سبيل الانسان وعظمته ولا تستعمل للتهديم والفتك والاعتداء على حرمة الانسان ٠

وهذا الاستاذ روبير يونغ (R. Jungk) الذي يدرس بجامعة برلين علم « المستقبلية » La futurologie يعلن أن تفجير القنبلة الذرية لأول مرة بهيروشيما يعتبر منعرجا حاسما في سير الحضارة الانسانية ، لأنه سجل نهاية عهد كان يعتقد فيه الكثير من العلماء والمفكرين ان العلم يضمن وحده التقدم الاجتماعي والسعادة الفردية ويؤكد أن المستقبل إنما هو اتجاهات كثيرة ، ممكنة الوقوع بدون استثناء ، وأنه على الانسان أن يستشف بخياله وضميره وفلسفته في الحياة الاتجاه الأسلم والأضمن للفوز بالاستقرار النفسي والسلم والكرامة ٠

وبذلك يرجع الانسان الى نفسه يحاسبها وتحاسبه ، ضعيفا رغم تقدمه وما كسبه بمهارته وجهده عبر القرون ، عظيما بما يستمده من ذاته ويتخذه لنفسه من قيم في الحياة ، وعظيما بما يؤمن به من مبادىء ويسعى بالخصوص الى تحقيقه وتجسيمه بالتعاون مع إخوانه في البشرية ٠

فحتى نكون في مستوى آمال شبابنا وطموحهم وحتى لا نتركهم يتغرغون بالفراغ ونجنبهم التجريدات والتهويمات أو التيه في ظلمات النفس الأنانية وجب أن نقترح عليهم مشروعا حضاريا أصيلا يؤهلهم الى الحياة في سنة 2000 ، ويهيئهم بواسطة ثقافة قومية بحق الى التحمس من أجله والشعور بالسعادة عند التفاني في سبيله ٠

ذلك هو صلب الموضوع ولب لبابه ٠

محمد مزالي

رسالة الأديان في العصر الحديث *

بقلم : عبد الوهاب بوحديبة

تعاني الانسانية اليوم ما لم تعان من قبل وتجتاز ازمة من أشد أزمات تاريخها فأصبحت تتطلع الى نهاية هذا القرن بشديد القلق وعظيم الارتباك ، والديانات الكبرى بقيت الى زمن ليس ببعيد خارجة عن كبريات مشاكل العصر • وشبابنا المتعطش للرقي والنمو لا يلجأ إلا قليلا الى الاديان لينهل منها زادا يغذي به روحه ويخفف حيرته ويحل الرموز ويتغلب على مصاعب الدهر ••

ان المفكرين المنتسبين الى الاسلام او الى المسيحية تجاهلوا مشاكل عصرهم الحيوية واذا بعجلة التاريخ تدور وتدور دون ان يتفطن الكثير منا الى أن التاريخ تجدد مستمر يفرض علينا الابتكار والخلق المستمرين حتى نواكب مقتضيات التقدم فنتخلص من أعباء الماضي ونستجيب الى آمال أممنا العريضة • وهذا يحتمه علينا الواجب اذ ألاحظ ان الانسانية لم تشك في ماضيها قدر شكها اليوم وان الثقة في النفس تكاد تنعدم عند ابرز علماء عصرنا واصبح التشاؤم مواكبا لكثير من تقديراتنا الاقتصادية والاجتماعية •

فالمجاعة لم تبق أمرا يفترض او يحتمل وقوعه ـ المجاعة حلت بأرضنا وملايين من اخواننا يشكون منها وكل ليلة تمر يقضيها مليارات من البشر ناقصي التغذية ـ أما الأوبئة التي قد كنا نظن اننا تغلبنا عليها نهائيا فها هي تعود ـ وعدد الاميين على سطح الارض لم يماثل قط عدد أميي هذا الثلث الاخير من القرن العشرين ـ وكل هذا يجرى في عالم توصل الى النهاية في المدنية وفي زمن اكتنزنا فيه من الخيرات ما لم يعرف الى هذا اليوم وقد تجمعت لدينا فيه من المعلومات عن البشر وعن الطبيعة ما كان يعد حلما فيما مضى من العهود•

(*) هذا البحث قدمه الاستاذ عبد الوهاب بوحديبة مدير مركز الدراسات والابحاث الاجتماعية والاقتصادية في نطاق الملتقى الاسلامي المسيحي الذى انتظم بتونس من 11 الى 17 نوفمبر 1974 • ومن بين المواضيع التي عولجت في هذا الصدد : الضمير المسيحي والضمير الاسلامي في مواجهتهما لتحديات النمو•

أمام هذه التناقضات كل منا يحس بالضيق ويشعر بما يمليه عليه الضمير من ضرورة العمل لتدارك الاوضاع. اننا نستطيع أن نعمل ، ولدينا الامكانيات ، وكم من عالم وفيلسوف ومسؤول على رأس دولة أو منظمة يناشدنا بكامل الالحاح بان نسرع لنتلافى الكارثة او نتهيأ الى الطامة الكبرى .

وأريد فى بداية هذا الحديث انأرفض بتاتا ما قد يتجلى عند الكثيرمنمفكري هذا العصر من مواقف سلبية لايمكن أن تؤدى الا الى الانحلال الذاتى وما هى فى حقيقة الامر الا توقيف للارادة وصد عن العمل ورفض للتحليل وبالتالى انتحار للفكر . ولعله من المفيد ان نشير الى بعض التناقضات التى يعيشها فكرنا المعاصر . وهى تشكل ازمة حضارية يعيشها ضميرنا اليوم ولزام علينا كمؤمنين واعين كل الوعى بمسؤولياتنا الجسام ان نقف عندها فى هذا الملتقى . ان الارادة والضمير يحتمان علينا اتخاذ بعض التدابير قد تظهر جليا تفاهة نتائجها نظرا لما نستخلص من درسنا العميق للمعطيات العلمية والاقتصادية والاجتماعية . ومستقبل البشرية جمعاء رهين تلك المعطيات . فكيف والحالة تلك نتخلص من التمزق النفسى وننجو من الانحلال الذاتى مهما كانت خداعة جوانبه وجذابة مظاهره الفلسفية . ان اليأس والقنوط قد يهدآن لشدة ما يحدثان من الالم فى النفوس ـ والمرء العاجز عن العمل المنظم قد يجد شيئا من الراحة بل من الالتذاذ فى الافراط من الحرية والفوضى .

الشهوات والنشوات الجنسية قد تمثل فى حد ذاتها شبه جواب لكل الأزمات التى يمر بها الافراد والجماعات اذ تمكن من النسيان وتدعمه بالتناسى،فكيف لا نستجيب لندائها والحال ان الضحك على ما فيه من مأساة هو اكساء للعالم بأزهى معانى السخرية ..

وقد لا تتجاوز هذه السخرية ظواهر الامور وما هى الا إخفاق وفراغ إلا انها صرف للاهتمام وتسلية للعقول .

ولعل هذا سر نجاح التقنيات العصرية التى يزداد تفننها يوما بعد يوم فى استيعاب ما يمكن استيعابه فى سبيل اثارة الغريزة الجنسية والحث علىتعاطى المخدرات والانسياق مع شتى سبل العنف . فكأن عمر الخيام حى بيننا يصرخها صرخة ثانية :

أشعلا فى الكأس نبراس الشراب وأطرحا فى وقده ثوب المتاب
انما اللذات خلس وانتهاب وليالى العمر أفراس الى
غاية الموت حثيثات سراع .

وفي هذا الجو الفارغ من الايمان والتي جفت فيه كل مشاعرنا فان الفكر الانساني بات ممزقا بين تقنية طاردنا بها العزة فاصبحنا عاجزين عن السيطرة عليها وحرية مطلقة اصبح من يتشبث بها قويا لتفاقم عجزه ولعجز المجموعات البشرية على انارة السبيل وحل لغوز المستقبل وهكذا أصبح الضمير الانساني يتطلع بفارغ الصبر الى شيء من الارشاد الروحي ·

وكل مفكر وكل عالم ينتسب الى دين ما وخاصة اذا كان ذلك الدين الاسلام والمسيحية فهو مطالب بالوقوف وقفة حازمة لمجابهة مسؤوليات جسام ومواجهة تحديات العصر وتحديات النمو ـ ان اهل الاختصاص في الاقتصاد والاجتماع وأرباب الاعمال لا يقرؤون غالبا حسابا للمقومات الدينية يتجاهلون جهلا فظيعا ما للمعطيات الروحانية من قيمة واهمية ـ أرباب الاديان بدورهم لا يكترثون الا قليلا بالشؤون الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ـ جهلوهم فتجاهلوا وأصبحت القيم على الهامش وخسرت الانسانية ·

وهذا ما تفطن اليه سيادة الرئيس الحبيب بورقيبة اذ لاحظ في الخطاب التاريخي الذي القاه بقاعة البالماريوم (في 19 جانفي 1964) · « اننا كلما تقدمنا في الناحية الاقتصادية والعقلية وفي تحرير الفكر وتكسير القيود الا وكان بالامكان جلب أخطار كبيرة لهذه الامة اذا انكسرت مع القيود التي كانت تضيق أفق التفكير قيود أخرى تمنع الناس من الانغماس في الرذيلة » ، وأبدى لنا سيادته في ذلك الوقت كل تخوفاته وبعد ستة أشهر عاد الرئيس الى نفس الموضوع فأكد بالمهدية في الخطاب الذي ألقاه بمناسبة المولد النبوي الشريف : « لذلك دعونا الى تجديد الروح الدينية واعتبرنا ان الدين لا ينبغي ان يصبح حجر عثرة في طريق النمو والتطور وانه على عكس ذلك ينبغي ان يكون قوة دافعة للبشر في حدود العقل والخير ـ نحو تحسين اوضاعهم وتوسيع معلوماتهم وتعزيز طاقاتهم » ·

كيف لا والحال ان البلاد النامية تطلب بالحاح اعادة النظر في توزيع الخيرات التي تساهم بقسطها الوافر في انتاجها ـ ان ازدياد الدخل القومي الخام وتحسين ظروف الحياة والتوفير من أسباب الرخاء والتمديد في طول عمر البشر والدخول في عصر التقنيات والتغلب عليها والتكهن بمعطيات المستقبل والسيطرة على النفس وعلى الطبيعة هذا كله هو التنمية · فكيف يمكن لنا ان نفكر ولو ثانية واحدة اننا نستطيع ان نعمل لفائدة هذه الاهداف السامية دون ان نستند الى مبادىء أخلاقية والى قيم روحانية ؟

وفعلا تجاهل الكثيرون هذه القيم واندفعوا فى طرق التنمية دون ارجاعها الى قواعدها الروحية وبما ان هذا حصل فانه أصبح من الضرورى ان نفهم لماذا وكيف وصلنا الى هذا الواقع وهل نستطيع ان نتدارك الامور •

بداية البداية نقد الذات ومراجعة النفس ــ أجل تجاهلنا تعاليم الاسلام وجار أمراؤنا وطغى آباؤنا وتفقهج علماؤنا ــ تكلموا الكثير وعملوا اليسير ــ حدنا عن التاريخ فحاد عنا ــ وها هو العار والبؤس والفقر والامية وقلة الوعى والهزيمة وأقدس أماكننا تداس وتدنس •

ولكن عادت الينا الثقة بالنفس منذ قليل فعلينا ان نحذر • النصر الحق ليس فى التغلب على عدو الامس والحلول مكانه ــ لا ينقلب الظلم عدالة بمجرد انتقاله من معسكر الى آخر ــ النصر المبين فى اعادة القيم الروحية الى اشراقها وهذا فى عصرنا يعنى اولا وبالذات التشبث بسامى مبادىء العدالة الاجتماعية والحرية والسلام فى كنف الكرامة ــ الاسلام اليوم مثل ما كان عليه بالامس وما سيكون عليه بالغد • الاسلام رسالة سلام تفرض علينا مراعاة حقوق الانسان والعمل من أجلها فى الداخل وفى الخارج •

وهذه هى رسالة المسيحية نفسها ــ الا اننا نلاحظ ان المسيحيين والمؤسسات المسيحية لم تفك تضامنها مع القوى الاستعمارية والامبريالية الا منذ حين ذلك انها لم تجد من الظروف التاريخية ما يسمح لها من الابتعاد عن المصالح الغربية الا مؤخرا ومن هنا أتت أحكام قاسية أداها الكثير منا •

تنظيم المؤتمر الافخرستى بمناسبة خمسينية الحماية واكتساء تلك الاحتفالات صبغة حرب صليبية تاسعة واقتران التبشير والاستعمار ليس اليوم الا من باب الذكريات المرة • ووقوف المسيحين جنبا لجنب فى قضيتنا الكبرى قضية فلسطين طى نهائى للصفحة •

واحقاقا للحق يجب ان نذكر ايضا بان الكثير من اخواننا المسيحيين انفسهم شعروا بالظلم والحيف ومنذ مجمع فاتيكان الثانى سجلنا بارتياح ان الكنيسة أخذت تراجع موقفها ازاء المظالم التى يقترفها الغرب • ويلذ لى ان أنوه مثلا بدراسات دانيال نورمان «الاسلام والغرب» و «السلام والامبريالية» وانوه بروح الكتيب الذى صدر عن الفتيكان « ارشاد للحوار بين المسيحيين والمسلمين » وهو حصيلة اعمال ساهم فيها الاب يوسف والاخ لويس قاردى الحاضر عندنا اليوم •

ومهما يكن من أمر فان المسيحية وان كانت دين التواضع والفقر فهى اليوم دين الاغنياء على المستوى العالمي ـ والجديد فى الامر ان أغنياء الامس أصبحوا يشعرون بوهم غناهم وليس من باب التناقض ان نقول ان المسيحية تجابه تحديات التنمية مثل سائر الاديان الاخرى ذلك ان نمو البلاد الغربية المدهش انتهى بها فى نهاية المطاف الى اكبر رعب سجلته الانسانية فى تاريخها • وامام الاخطار والاهوال التى تتجلى يوما بعد يوم وامام تحديات النمو فان الحال استوى ووجدنا انفسنا مسيحيين كنا أم مسلمين أمام نفس المسؤوليات •

وان شعورنا بالتضامن اخذ يكتسى صبغة ايجابية • ذلك اننا نعلم ان التمييز بين بلاد متطورة وبلاد متخلفة لم يكن قط سوى تمييز نظرى •

البشرية ليست اصنافا متعددة • البشرية واحدة تختلف فى أشكالها وتركيبها وثقافتها ونوعية مدنياتها ـ لا بدائية الا بدائية من اختلطت عليه السبل من علماء الاجتماع فاصبح عاجزا عن فهم المجتمعات غير الغربية ولا تخلف فى نهاية الامر الا تخلف الفهم والتحليل •

نحن نعلم علم اليقين ان الاخطار التى تهدد المجتمعات المصنعة او التى تجاوزت التصنيع ستتعرض لها كل المجتمعات الاخرى التى اختارت لنفسها طرق النمو المستوردة من الغرب • وعجبا لمن لم يقتنع بعد بان ما يسميه البعض نموا ليس فى نهاية الامر الا انتحارا اجماعيا ـ وكم من ذوى الخبرة أصبح ينادى بضرورة تعويض سلم القيم المعمول بها وينادى بالتخلص من الاهداف المادية البحتة وتعويضها باهداف روحية والاكتفاء بمستوى متواضع جدا فى الحياة •

طرحت قضية المدنية الغربية مرات ومرات ولا فائدة فى العودة اليها من جديد ولكن لا يمكن لنا فى جمع مثل هذا أن نتجاهل التبذير المفرط لخيرات الارض وهو شأن المدنية المصنعة بحكم الضرورة ـ أثبت العلماء المختصون ان الفلاح الهندى بمقاطعة البهار مثلا يستهلك من الطاقة 500 مرة أقل مما يستهلك منها ساكن نيويورك وهل يمكن والحالة تلك ان يكون لتقسيط استهلاك الطاقة معنى فى الغرب ؟ وما هو تأثير الحد منه بنسبة عشرة فى المائة ؟ والذى يحتمه الواقع ليس تحسينا للوضع وانما مراجعته مراجعة جذرية وما تحدثه فى النفس مطالعة الدليل السنوى المرقم الذى تصدره هيأة الامم المتحدة من مرارة وألم واستنكار لا يعلمه الا الله •

ان الرأى العام يجهل ان الانتاج الغذائى مثلا كان يزداد من الستينات بنسبة تتلاءم وازدياد عدد سكان المعمورة ـ ولكن فى السنوات الخمس الاخيرة وخاصة

في البلاد الفقيرة أخذ النمو الديمغرافي يزداد بصفة مهولة في حين ان الجفاف قضى على الماشية وعلى البشر وهاهي المجاعة تحل بيننا وأشنع أسباب الموت معها والتقديرات تنبئنا بان نصف مليار من بني جنسنا سيموتون جوعا قبل نهاية القرن ان لم نتدارك الوضع بسرعة فائقة ٠٠

وما تقلبات الطبيعة الا عنصر من عناصر الوضع ـ أثبت علماء الزراعة أنه في غضون سنة 1973 قدمت في البلاد الغنية للماشية بها 385 مليون طن من الحبوب ومشتقاتها وهذه الكمية الهائلة من الغذاء تحول عن طريق تربية الدواب الى لبن او لحوم ولكن نسبة الاستفادة من هذه الحبوب المستعملة بهذه الطريقة نسبة ضعيفة جدا ولو استعملت نفس الحبوب لتغذية البشر لكانت تكفي لتغطية حاجيات مليارين اثنين من البشر ـ وقال البعض منهم تعقيبا على هذا التحليل ان الغرب يعطى الاولوية لتسمين الخنازير على اغاثة الافارقة والآسيويين المنكوبين ٠٠

ويرى الكثير ان وضعا كهذا لا تراجع فيه وان الانسانية ذاهبة الى هلاك لا مناص منه ولعل هذا هو التحدي بعينه اذ دخل النمو في دوامة لايمكن ان تؤول الا الى نكبة النكبات اذ اصبحت المدنية تهدد نفسها بنفسها ٠ وهذه بعض العناصر نكتفي بذكرها في سياق الحديث : تزايد جنوني في النسل مهما قال بعضهم عبثا في ملتقى بوخرست ـ تقنية حاملة لذاتها ومستهلكة للطاقة الى حد انه اصبح من العسير ان نتأكد من ان ابسط حاجيات البشرية ستسدد يوم غد ـ استهلاك مفرط لكل شيء ولاى شيء ـ تلوث مريع للمحيط ، مسخ وجه الطبيعة ٠

أضف الى ذلك ان بث التقنيات في جميع المستويات جعل القنبلة الذرية في متناول الجميع وان الاتجار بالاسلحة في ازدهار مطرد وان وسائل الاعلام كثر استعمالها لطرقة الادمغة وتسيير العقول من حيث لا يشعرون ٠ وها هو الطب بدوره يتطور الى حد ان الموت يختلط بالحياة فننزع القلوب في غير اجسادها وندخر المخ في البنوك حتى بعد موت أصحابه ، ونلقح صناعيا ، ونطعم صناعيا ، ونربي الجنين في قوارير المخابر ٠٠

قد يطول الحديث عن المشاكل المنجرة عن ذلك وهي داعية الى الحيرة والارتباك ٠ أعيد فقط الى الاذهان ما يستنتج من احدث الدراسات الاستقبالية ـ دراسات نادى روما ومعهد الماساسوشاتس للتقنية وتقرير ميدوس وتقرير

طوكيو الثانى ـ كل هذه الدراسات تجمع على ان الكارثة ستحل بالانسانية بين سنة 2000 و 2030 · وهى فترة زمنية تلتقى فيها بصفة خطيرة المنحنيات البيانية الراجعة الى تطور الموارد الطبيعية وعدد السكان والقسط الغذائى المعدل والانتاج الصناعى الفردى والتلوث العام للطبيعة ·

كل هذا يحتم علينا ان نمعن جذريا النظر فى مفهوم النمو ونحلل أسبابه ونكشف القناع عن مسبباته ـ وهذا النوع فى البحث من أوكد واجبات هذا العصر · ذلك ان الوقت حان لنجابه الموقف بحزم وعزم مسلحين بقيمنا الروحية · ولعل مجابهة تحديات النمو ستكون بالايمان أو لا تكون فهل لفكرينا وأيمتنا من طاقة على ذلك ؟

وبكامل الصراحة وبكامل التواضع وبكامل الحيرة القى هذا السؤال على حضرات المشاركين الاكارم فى هذه الندوة

آمالنا وآمال شبابنا عريضة وملحة ونأمل ان تتمخض عن نقاشكم طرق للهدى نستعين بها لبلورة آرائنا ··

وقد يعجب البعض من هذا السؤال وقد يسخر منه وقد لا يعطيه قيمة او يقول ان الاسلام صالح لكل زمان ومكان والايمان تجربة باطنية فأية فائدة اذن فى ان نجتهد لنوفق بين تعاليم الاسلام وهى شاملة كاملة ومشاكل عرضية تزول بطبيعتها وتتغير وربما كانت عملية التوفيق بين قيم روحانية مطلقة ومقتضيات ظرفية عملية خطيرة يجب اجتنابها ـ الخلاص فى الايمان والخلاص فى العبادة فى الصلاة والدعاء ولنفرض ان النهاية أتت وان القيامة قامت ألسنا بمؤمنين بالساعة ـ لتكن القارعة ـ المؤمن مستعد لها كامل الاستعداد ··

هذا النوع من الوقوف عند المشاكل يحيرنى لانه يعبر احسن تعبير عن الازمة العميقة التى يجتاحها الضمير الدينى الذى يبدو انه أصبح عاجزا عن تحمل مسؤولياته التاريخية بالوجه المرضى ولانه يترجم عن تفكك وتصدع فى اوضاع الروحانيات داخل عصرنا هذا ·

مظاهر التفتت كثيرة ألاحظها أولا فى التباعد المتزايد بين الدين كمؤسسة والمجموعات البشرية التى تعيش التجربة الدينية طبقا لاوضاعها الخاصة ـ ويبدو لى ان الصلة بين المستويات العضوية والمستويات العفوية اصبحت صعبة للغاية وأكثر من اى وقت مضى ـ والجدل بينها والتناقض اكتسى حدة شائكة ·

بل نشاهد ان الاسلام وان كان دينا رسميا فى أوطاننا أصبح ثانويا بالنسبة للحياة العامة الواقعية وكذلك نلاحظ ان الكنائس كلها اصبحت هامشية بالنسبة للمجتمعات المؤمنة بها ، وهكذا عمت الازمة واتسع الوادى بين الشعائر الدينية والطقوس الرسمية من جهة والتعابير « الغريبة » للروحانيات من جهة اخرى ٠

ونحدث عن انحلال الروابط الدينية الاسلامية، وذهبت بعض الانظمة الى اتخاذ وسائل القهر والعنف لاعادة المياه الى مجاريها كما يقولون واكراه الناس على التدين او على الاقل على الامتثال الشكلى الخارجى للتعاليم الدينية٠ وفى قرارة نفسى لست اعتقد ان الشباب فى بلادنا يحيد قطعا عن الاسلام بل اعتقد انه ان نظرنا اليه وجدناه قسمين فهذا لا يجد معنى للطقوس الدينية وهنا فقدت القيم الروحية كل معانيها فلا يتعبد ولا يؤمن على حد السواء ــ وعلينا الا نطرد من رحمة الله اى بشر وبالاحرى من كانت فى قرارة نفسه شرارة من الايمان ومعروف فى الفقه ، ان حكم العاصى غير حكم الكافر ٠٠

هناك حاجات روحية اعتقدها لا تزال موجودة فى شبابنا وفى افراد مجتمعاتنا مهما تطوروا ومهما تنكروا لاصلهم اللهم الا فى القليل النادر٠ وبالرغم عن كل التحليلات والتعليلات فا ن الدين لا يزال حيا فى الضمائر ٠ قالوا عنه انه أفيون وانه شبح وانه وهم وانه اغتراب لا واقعية موضوعية له ولكن نشاهد ان الضمير الدينى لم يمت ولم يفقد معناه بعد ٠

بل نرى الشباب فى البلاد الغربية المصنعة يولع ولعا بالمظاهر الغريبة للتدين فيقبلون اقبالا على البوذية والمعتقدات الزنجية البرازيلية او الافريقية مثلا ٠ ولعل الوازع الاساسى هو رفضهم لمقومات ديانات قومهم والبحث عن قيم من نوع آخر تخرجهم مما يعتبره بعضهم جهنم المدنية التقنية الغربية ٠ وفى هذا شيء من الخجل الجماعى للظلم التاريخى الذى سلطه أهلهم على بقية شعوب العالم ــ وهذه المواقف ليست فى حقيقة الامر ايجابية بل هى اولا وبالذات مواقف معارضة واستنكار وجدال ومن هنا اتت ملابسات قد يستحسن ان تسلط عليها بعض الاضواء ٠ ذلك ان تديننا بلا دين نتيجة فيما يبدو لنوع خاص من النمو اتسمت به المجتمعات الغربية ، وهذا تحد آخر اذ النمو التقنى قد يفرغ من الداخل تجاربنا الدينية ويكسبها طابعا شأنه الغموض والالتباس ٠

ولكن مهما يكن من أمر فانه علينا ان نفهم الاسباب التى تجعل حاجاتنا الدينية تتجلى فى مظاهر تعاكس الاوضاع الاجتماعية والثقافية ٠ وفى هذا فشل واى فشل ٠ ولكن فشل ماذا فشل الضمير الدينى الذى اصبح عاجزا عن تحمل مسؤولياته كلها او هو فشل للنمو المطرد الذى اصبح يحمل فى طياته

جذور التهافت والفناء وعلى كل فانه اصبح من الصعب ان نجتنب اختلال الضمير الديني ـ اسلاميا كان او مسيحيا ـ ما لم يقترن هذا الضمير بالالتزام بضرورة اقرار مبدأ العدالة الاجتماعية الكفيلة وحدها باكساء النمو بالمعاني اللازمة ٠

أما بالنسبة لواقع البلاد الاسلامية فاني لاحظت ان التطور السريع ، وان التغييرات الاجتماعية ادت الى ضعف لا في العقيدة وانما في المواظبة على العبادات٠صحيح ان سلوك الافراد اليومي اصبح خاليا أكثر فأكثر منمظاهر التدين ـ صحيح ايضا ان الاباحية اخذت تتفشى ولكن هذا لا يعني بالمرة ان الضمير الديني اخذ يتقهقر ٠ هذا انتساب للاسلام دون الالتزام بتطبيق تعاليمه ـ والمشكل هنا بطبيعة الامر في معرفة مشروعية هذا الموقف ٠

قمنا بمسح بين طلاب كلياتنا الخمس والنتيجة كانت ان الصلاة تترك وان رمضان قل عدد من يصومه الا ان الايمان بقي ثابتا في القلوب وان الطالب التونسي يعتبر نفسه غالبا منتميا الى المجموعة الاسلامية ٠ اذ بقيت للشهادة معنى ثابت عند اكثر من ثلاثة أرباع طلابنا ٠ ولا غرابة في ذلك كنت قد لاحظت نفس الشيء في دراسة عن الصلاة قمت بها منذ اكثر من عشر سنوات في بعض أحياء مدينة القيروان والذي استنتجته آنذاك هو ان الصلاة لا يواظب عليها الا من تجاوز سنه الخامسة والثلاثين ٠

هذا الاقلاع عنالعبادات وانكان نتيجة للتطورات العميقة فيمجرى التاريخ والاوضاع الاقتصادية والبنية الاجتماعية التي تسيطر على المجتمعات الاسلامية فانه بلا شك يهدد الضمير الديني نفسه اذ لا دين بلا تدين ولا تدين بلا دين ٠ والمأساة ان نشاهد الاسلام في بلادنا ينقسم الى شقين متباينين ومصيبة المصائب ان يتجاهل المعنيون بالامر وان يعيشوا هذا الانفصام كأنه لم يكن ٠ والقضية جوهرها معرفة مدى امكانية غرس الروح الاسلامية في الواقع الملموس الحي ـ واعتقادي ان الروح الاسلامية هي في نفس الوقت اقرار للذات وامساك متين للواقع ـ هاتان وظيفتان وفق المسلمون بينهما في عصور ازدهارهم واخشى ما أخشاه أن يخامر ذهننا الاكتفاء باحداهما وهذا من باب الغرور ـ ذلك انه ان افلتت واحدة تلاشت الثانية واصبح الضياع الكلي نصيبنا ـ ان الاسلام لم يكن الاستسلام ٠ ان الضمير الاسلامي لم يكن بمثابة المأوى ٠ لذا أصبح محتما علينا أن نخلق من جديد صلة وثيقة بين ما تمليه علينا ضمائرنا وما تفرضه علينا الاختيارات الكبرى من ارادة لحياة كريمة واسترجاع لحقوقنا المشروعة وبناء للانسان المعاصر ٠

وربط الصلة بين الضمير الاسلامي وبين متطلبات الحياة لا يعني بالمرة ذوبان الضمير في قضايا لا تمت له بصلة ـ يطالبنا الكثير بان نستخدم الاسلام وان نجعل منه قوة فعالة تمكننا من العزة والمناعة ، اجل لا معنى للايمان ان لم يقترن بالعمل الفعلي والضمير الديني يفقد كل معنى ان كان مجرد عملية تبرئة للذمة ـ ولكن كيف العمل ؟ وكيف الاجتهاد وهل من سبيل الى استعمال الضمير الديني في أغراض موضوعية دون ان يفقد خاصياته ويذوب في أشياء أخرى ؟ وبالخصوص ما الفرق اذن بين الضمير الديني والالتزام السياسي ؟ وهل يمكن للايمان ان يدخل في معركة النمو دون ان يتصدى الى أخطار جسام ؟ وفي هذا السؤال الشائك تحديات ويالها من تحديات ..

واخيرا تجربتي على رأس مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية جعلتني أشعر بشيء من الضيق في القيام بمسؤولياتي وقد وقف الاستاذ ليكور عند شيء من هذا اذ لاحظ «أسفه العميق للتباعد الذي يزداد يوما بعد يوم بين البحث العلمي الجاد في ميادين التفسير وتاريخ الكتب المنزلة والفلسفة وبين الالتزام الواقعي السياسي او التربوي ـ فالكارثة ستحدث بلا شك ان انعزل التفكير الديني عن الواقع السياسي القومي او اتخذت التدابير السياسية دون ان تستند الى بحوث علمية معمقة . »

ويؤسفني ان أشاهد البحوث الاسلامية على غزارتها وعلى قيمتها وعلى عمقها لا تأتي بنتيجة ملموسة . ذلك ان الاختيارات الجوهرية في سياسات بلادنا لا يقرأ لها حساب بالقدر الكافي . كما يؤسفني ان ألاحظ ان البحوث الاسلامية لا يزال الطابع التقليدي يسيطر عليها ولا تجدد الا في القليل النادر فلا تهتم بمشاكل الساعة بالقدر الكافي ولا تستغل بالوجه المرضي طرق البحث العصرية ومناهجه وينتج عن ذلك عقم كبير في بحوثنا وتدريسنا .

هذه المشاكل ينجر معظمها فيما اعتقد عن نقص فادح في التفتح ـ ان انعدام الحوار هو الداء العضال الذي تشكو منه الاديان . ولذا أرجو لنا ولأعمالنا كامل التوفيق وأتمنى ان يكون هذا الملتقى مناسبة ليشري كل منا نفسه بما يقدمه زملاؤه من أفكار وآراء ووجهات نظر وان مآت الملايين من البشر ومن الشباب حولنا يتطلعون بكامل الحيرة الى آفاق المستقبل فهل لنا من حديث لهم ؟ او من رسالة نجدها في كتبنا وسنننا وتقاليدنا؟ ان كان الامل وان كان الاخلاص من شيمنا المشتركة فكيف لا نأمل ان يشع نور من ملتقانا هذا ومن أرض تونس العربية المسلمة المتفتحة ؟

نوميديا الكبرى

جوقرطا يعود

شعر : عبد المجيد بن جدو

نوميديا راودتها منذ ازمان — أطياف حلم لامجاد وسلطان
وتنشىء الفكرة المثلى وتبصرها — كالشمس تحجبها اجفان نعسان
وطلعة الفجر فى التاريخ ترقبها — كبسمة الثغر لم تشرق باسنان
ومسنيسا بدا فى عينه أفق — قان له فى انعكاس الرأى ركنان
روما وقرطاج كل كان مستترا — يدعوه قسا بدا فى فرو ثعبان
فالملمس الرطب فى الثعبان غرره — اذا كان يبدو له فى ثوب انسان
اذ كان اعداؤه روما تناوئه — وجيش قرطاج أضحى خصمهالثانى
فبات يبحث عن راى يخلصه — من العدوين فى صدق وايمان
فجاء قرطاج فى جيش له ، وغدا — من بعد قرطاج يأتىدور رومان
حتى اذا عرفت قرطاج غضبته — حقا طغى خصمها الجانى على الجانى
اودى وقد كانت الاحقاد ناشبة — بين العدوين عدوانا بعدوان
وانجب المجد فى أصلابه بطلا — لاقى العدوين لا يرضى بطغيان
كذلك الملك مسنيسا خطته — تراه يقضى على انقاض بهتان
يقلب السيف فى اعداء امته — نهال قرطاج رعبا سيفه القانى
وجاء زاما بقلب كان منتقما — فى اثر شبيون والعادى عدوان
يغرى عدوا على اعداء امته — اذ كان اعداؤه فى حربه اثنان
روما تؤيده حتى اذا قهرت — قرطاج دكته بنيانا ببنيان
كل يراوغ فى زاما وقد شهدت — (زاما) على حافتيها نار بركان
حتى اذا انتصرت روما وقد عرفت — ما ماسينيسا بحرب ذات نيران
فحاول الروم (خوفا) كسر شوكته — من ان يدينوا له يوما باذعان
فمزقوا ملكه من بعده شيعا — من ان يرى جيشه يوما بميدان
فمات والروم مازالوا بأمته — وثأر أمته فى عينها رانى

وحدة الشعب حلم كان يطلبه   في قلب نوميديا تاميل أوطان
اودى وقرطاج كانت بعده أثرا   مرت كحلم مضى في عين وسنان
اودى ولم يقض من روما مآربه   والعمر رهن باحداث وأزمان
فظل يصرخ في أصلابه فبدا   جوغرطة قائما في زى فتيان
لم ينس روما وهل تنسى مطامعها   وما اعدته من سجن وقضبان
فجرد السيف في وجه الدخيل وما   زالت له صرخة دوت كبركان
حتى يرى شعبه من بعد محنته   برد عن ارضه أخلاط رومان

فحارب الروم ايمانا بأمته   وأدرك الروم ليثا خلف قطعان
جوغرطة في الوغى والروم تطلبه   ليث يحاصره سرب من الضان
جوغرطة قد مضى يبني لامته   صرحا وما انفك يبني خير بنيان
جوغرطة قد مضى يدعو ودعوته   المجد في بلدى اكرام انسان
لا عاش قيل ثنى للذل هامته   غلا لروما بقاء بعد كنعان
مضى كسهم بساح الحرب منتقما   يطارد الروم في صبر وامعان
حتى يحقق للاحرار وحدتهم   ووحدة الشعب تبني خير بنيان

فالليل في بلدى   تمحوه كفاك
لا شيء الا كـا   يا نجمة بغدى
يا خنجرا بيدى   لم يبق أشواكا
نوميديا الاسد   لا ليس تنساك
في الاطلس الممتد   كالاسد الرابض
يا قلبه النابض   بما له من مجد
نوميديا الكبرى   من بعد جوقرطا
تملى هنا شرطا   تطالب الحرا
أن ينزع القرطا   من أذنه قسرا
أن يرفض الاسرا   فلنحذر الفرطا
ولنحرز النصرا   نوميديا نادت
شعبي فلباها   والعمر أهداها
حتى اذا شادت   صرحا لها ، جاءت
تبني بيمناها   مذ كان مولاها
في عهده سادت   يا قائد الشعب
يا رافع العلم   بالرأى والقلم
في السلم والحرب   يا قبلة الامم

نوميديا فكرة عادت فكنت لها ... خير الزعيمين فى تحرير اوطان
وفارسا لم تزل فى الحرب رايته ... فى الاطلس الفرد لم تدرك بفرسان
تبنى كيانا وما ترسى سوى وتد ... للسلم لا فاترا يوما ولا وان
نوميديا امل فى قلب أطلسنا ... حلم به حلمت فى طرفها رانى
نوميديا فكرة من قبل ما اكتملت ... حتى اذا اثمرت فى قلبك الحانى

قلب الحبيب الذى ما انفك يغرسها ... فى كل صدر باصرار واعلان
حتى اذا اثمرت فى قلب غارسها ... يا ثمرة قطفها فى عهده دان
عهد الحبيب الذى ارسى قواعدها ... يبنى المفاخر ما ازكاه من بانى
خلصت شعبك من اسر القرون ولم ... تزل توطد اركانا باركان
فتونس اليوم تشدو لحن فرحتها ... بدوحة ذات افياء وافنان
الطير لما يزل يحكى لأيكته ... ملاحم الشعب الحانا لأفنان

فتونس اليوم فى كفيك تصنعها ... وفى يديك انبرى إزميل فنان
صنعت جسما به حسن نفحت به ... من روحك الروح انسانا لانسان
حمامة السلم تشدو شكر صانعها ... من فوق غصن كطيف الحلم فينان

ع. ب. ج

رسالة

على هامش الشخصية التونسية (*)

بقلم : الدكتور محمد فاضل الجمالي

بسم الله وحده

أخي الفاضل الاستاذ البشير بن سلامة المحترم

تحية أخوية عاطرة وشكرا على هديتكم القيمة « الشخصية التونسية » وتهنئتي لكم على معالجتكم موضوعا خطيرا هو من مواضيع الساعة لا في تونس وحدها بل في عالمنا العربي المتحرك كله ٠

لقد طالعت كتابكم القيم باهتمام بالغ لسببين رئيسيين :

اولهما انه يعالج قضية هي من اهم القضايا التي تعنى بها التربية المعاصرة أعني بها قضية **الانتماء والولاء** ٠ فالتربية المعاصرة في كل بلد من بلدان العالم الحي تعنى عناية خاصة بتنشئة افراد الشعب على **الانتماء والولاء** الى الكيان الانساني الذي يختاره ذلك البلد سواء أكان ذلك الانتماء سياسيا او دينيا او اجتماعيا ٠ **والانتماء** يتطلب **الولاء** عادة ٠ ولا أشك في ان معالجتكم موضوع الشخصية التونسية تستهدف دعوة المربين الى العناية البالغة في توعية ابناء الشعب صغارا وكبارا للانتماء والولاء للشخصية التونسية ٠ وهذه خدمة صادقة تسدونها لامتكم ووطنكم ٠

والعامل الثاني الذي جعلني أعني بالكتاب هو اني كانسان يدين بالدين الاسلامي الحنيف وينتمي الى كيان العروبة من الخليج الى المحيط أعتز بشخصية كل قطر من الاقطار التي يشملها هذا الكيان ولا سيما بشخصية شعب تونس

(*) كتاب الشخصية التونسية خصائصها ومقوماتها ، تأليف البشير بن سلامة نشر عبد الكريم بن عبد الله ، تونس سنة 74 ٠

الخضراء ولا عجب فاني قد احببت تونس قبل ان أراها ثم ان تونس قد احتضنتني منذ انغادرت العراق قبل ثلاث عشرة سنة فصرت استطيع القول بان شخصيتي كانسان فرد تغذت وتفاعلت مع الشخصية التونسية ولذلك فقد عينت فكريا وعاطفيا بمطالعة كتابكم القيم ولا يسعني الا ان أبدي تقديري لجهدكم الصادق وهدفكم النبيل · وهأنا أطلب صفحتكم وسماحكم لابداء ما عن لي من ملاحظات وآراء وأنا أطالع كتابكم الثمين :

مشكلة المصطلحات :

من اولى المشاكل التي يجابهها الكاتب الاجتماعي ان في الشرق أم في الغرب هي «مشكلة عدم الاتفاق على مدلول بعض الكلمات الاساسية · ولنضرب مثلا على ذلك : ماذا نعني بكلمة « شخصية » وماذا نعني بكلمة « أمة » وماذا نعني بكلمة « عربي » وماذا نعني بكلمة « لغة » ·

أقترح ان يكون تعريف الشخصية على الوجه التالي : « هي وحدة الهيأة الشاملة لكل الظاهرات المادية والمعنوية التي يتكون منها فرد او جماعة » · فهناك شخصية لكل انسان فرد وهناك شخصية لكل **جماعة موحدة «منسجمة** صغيرة كانت ام كبيرة · والشخصية هي نتاج تفاعل الوراثة مع المحيط وظروفه المتغيرة فهي اي الشخصية متطورة ما دامت العوامل المحيطية تتطور ·

وكلمة « امة » من الكلمات التي تتخذ معاني ضيقة تارة وواسعة أخرى · فهناك من يقول « بالامة المصرية » او « الامة السورية » او «الامة التونسية» وهناك من يقول بان هناك أمة عربية واحدة تشمل كل هذه الامم المار ذكرها وسواها من الخليج الى المحيط · وهناك من يقول بان هناك أمة اسلامية واحدة وما الشعوب العربية الا قومية واحدة من القوميات التي تتشكل منها الامة الاسلامية · مستشهدا بالآية الكريمة « **إن هذه أمتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون** » · (سورة الانبياء 92)

ليت العرب اتفقوا على استعمال « شعب » للشعب المصري والشعب السوري والشعب التونسي وسواهم من الشعوب العربية وليتهم اتفقوا على استعمال « قوم » و « قومية » لمجموع الشعوب العربية فقالوا القومية « العربية » والاقطار العربية و « الوطن العربي الكبير » وليتهم خصصوا كلمة « امة » للامة الاسلامية التي تشتمل على كل القوميات التي دينها الاسلام ·

وكلمة «عربى» قد تستعمل لمن أصله ونسبه عربى أى لكل من جاء هو أو أسلافه من جزيرة العرب وقد تخصص «للبدو» الرحل وقد توسع فتشمل كل من تكلم بالعربية وتثقف بالثقافة العربية وانتمى الى الشعوب المتكلمة بالعربية مشاركا اياها فى امالها وعواطفها افراحها واتراحها هذا وإن الذين ينادون بالقومية العربية فى عصرنا هذا يستعملون اصطلاح « العربى » بهـذا المعنـى الواسع ٠ فالعربى لا يقتصر على من كان من أصل عربى قادم من جزيرة العرب ٠ بل العربى كل من تكلم العربية وثقف بثقافتها وانتمى الى الوطـن العربـى ٠ إذ من المعلوم ان اكثرية ابناء الاقطار العربية ليسوا من اصـل عـربى فهم مستعربون فهم « عرب » بالمعنى الشامل ٠ والعروبة قومية مفتوحـة تحتضـن أقواما ليسوا بعرب رسا ٠ وبهذا المعنى فالتونسى المتكلم بالعربية كالعراقى او المصرى المتكلم بها هو عربى مهما كان أصل أسلافه ٠

وكلمة «لغة » ما حددوها وهل هناك لغة عربية واحدة ام هناك لغات عـدة تنتمى الى العربية ؟ وهل تطلق كلمة « لغة » على اللهجات العامية العديدة التى قد توجد فى أية لغة من اللغات الواسعة الانتشار ؟ نحن نقول بان هناك لغة عربية واحدة هى اللغة الفصحى وان اللهجات المحلية ما هى الا وليدة الفصحى فى ظروف وأقاليم خاصة ٠ ففى كل من الاقطار العربية نجد اللغـة الدارجـة (واحدة ام اكثر) تكتسب صبغة محلية وتقتبس الفاظا قد تكـون غريبـة او جديدة فالعربية فى العراق تحتوى على أكثر من لهجة واحدة فلهجة ابن بغـداد تختلف عن لهجة ابن الموصل وفى العراق تسربت كلمات عـدة من الفارسيـة والتركية والانكليزية الى اللغة الدارجة ٠ ويصدق القول ذاته على كل قطر عربى خضع للاستيلاء الاجنبى تقريبا ٠ فما يقال عن العراق يقال عن تونس او مصر او المغرب ٠ ففى تونس تختلف لهجة الجنوب التونسـى عن لهجـة الشمـال التونسى وحين أصغى الى الاذاعة التونسية باللغة الدارجة أجد ان نحو 99% من الكلمات هى كلمات عربية فصيحة وانما تلفظ باللهجة التونسية المتصفة بالامالة ٠ وهناك « لغة وسطى » هى عربية فصحى مبسطة مسكنـة الاواخـر «بدون اعراب» يمكن ان لا تفهم فى كل الاقطار العربية من الخليج الى المحيط هذا وان الاذاعة العربية اليوم تقوم بدور مهم فى جعل ابنـاء العربيـة يفهم بعضهم بعضا مهما اختلفت لهجاتهم ٠ وعلى هذا الاساس نحن من القائلين بوجود لغة عربية واحدة ولهجات متعددة ٠

فلو تحقق الاتفاق على مدلول الكلمات وتحددت معانيها لقضى على الكثير من سوء التفاهم ولتوفرت جهود كبيرة تصرف فى الجدال والحـوار بين الكتـاب والباحثين فى المواضيع الاجتماعية ٠

مشكلة التاريـخ :

اعرب عن تقديرى لجهودكم القيمة فى تحرى الحقائق التاريخية التى اعتمدتم عليها فى ما توصلتم اليه من استنتاجات واسمحوا لى ان أبدى بان التاريخ سلاح يتوقف استعماله فى القضايا الاجتماعية والسياسية على غرض من يحمله ومن يستعمله ذلك اذا كان سلاحا ماضيا غير مغشوش العتاد اى يتحرى الحقيقة كاملة من كل جوانبها وبكل تجرد ٠ لقد عشت ما يزيد على الخمسين سنة من تاريخنا المعاصر وساهمت فى بعض صفحاته فأود ان أؤكد لكم بان التاريخ الذى نتداوله قد لا يخلو من فجوات كما قد لا يخلو من تحريف واختلاق ترجع الى عدم احاطة المؤرخ بكل المعطيات أو الى تحزبه وغرضه الامر الذى قد يضر بوحدة الامة وتماسكها ٠ فالتاريخ قد يستخدم للتفريق او التمزيق بين الامم والشعوب فى وقت تطمح الامم فيه الى التماسك والالتحام ٠ نحن نعتمد كثيرا على بحوث واساليب اجنبية فى دراسة تاريخنا وليس من الانصاف ان نتوقع من الاجنبى ان يكتب التاريخ لمصلحة امتنا ومجتمعنا مهما كان منصفا وموضوعيا فجل ما ننتظره من الاجنبى هو ان يكتب التاريخ للتاريخ ذاته الامر الذى قد يضر بمجتمعنا ولا يخدم اهدافنا إذ التاريخ للتاريخ يجب ان يكون فى حوزة العلماء الاختصاصيين اما المسؤولون عن توجيه الامة ومستقبلها فعليهم ان يقتبسوا من التاريخ ما يخدم حاضر أمتهم ومستقبلها ٠ نحن على علم بان الذين كتبوا التاريخ من ابناء جلدتنا قد لا ينجون من التعصب او التحيز الذى فرق شملنا فى الماضى ويؤخر سير أمتنا فى الحاضر ٠ فيجدر بنا اذن ان نحتاط فى استعمال التاريخ كهاد او دليل ما لم يكن هدفنا القومى واضحا وفلسفتنا صحيحة ٠ التأكيد يجب ان ينصب على درس واقعنا وعلى التخطيط لمستقبلنا ثم الرجوع الى التاريخ للاستعانة بما فيه من عوامل ايجابية وبناءة ٠ وترك ما يضر بحاضرنا ومستقبلنا الى الاختصاصيين الذين يدرسون التاريخ لاجل التاريخ ٠ أود أن استخلص من هذا باننا نعيش فى عصر ليس له مثيل فى التاريخ وان الشخصية التونسية يجب ان تكون مستقبلية اكثر منها تاريخية فلننظر الى واقعنا والى واقع العالم الذى نعيش وقضايا الانسان المعاصر ونستقى من تاريخنا ما يساعدنا على حل مشاكلنا الحاضرة وتجنب ما يزيد فى تعقيدها او ما يؤخر سيرنا ويمزق شملنا ٠

علاقة الشخصية التونسية بالاسلام وبالعروبة :

أما ان لتونس شخصية تمتاز بها فذلك أمر لا يقبل الجدال ٠ فلتونس شخصيتها كما ان لمصر شخصيتها وكذلك للعراق او سورية او اليمن ٠ هذا

وان تعدد الشخصيات القطرية فى الكيان القومى العربى مما يزيد فى ثروة هذا الكيان وقوته الخلاقة · أما تحديد علاقة الشخصية التونسية وارتباطاتها فى تسلسل الشخصيات الاخص او الاعم واما تعيين مقومات هذه الشخصية وتوفير وسائل بنائها وتنميتها فهو أمر يتوقف على اختيارات الشعب التونسى سياسيا وتربويا · واما اللغة القومية سوى ناحية واحدة هامة من نواحى الشخصية التونسية يقرر مصيرها سياسيا وتربويا ·

اما فى الحقل السياسى فقد اختار الشعب التونسى ان تكون لغته الرسمية العربية ودينه الاسلام ذلك ما نص عليه الدستور التونسى ثم ان الدستور التونسى ينص على ان تونس هى قطر من أقطار المغرب العربى الكبيــر ثم ان تونس عضو فى جامعة الدول العربية وتساهم بنشاط فى مؤتمـرات العـالم الاسلامى اذن فعلاقة الشخصية التونسية بالعروبة وبالاسلام عـلاقة عضويـة متينة· ولذلك فى الامكان اقتراح سلسلة الانتماء بصورة صريحة بحيث يقضى على الكثير من البلبلة والترجرج الذى نشاهده عند بعض المثقفين· نحن نقترح ان تكون سلسلة الانتماء على شكل هرم قاعدته الانسانية وعلى قاعدة الانسانية تقوم المعتقدات الدينية (الاسلامية) ومن الاقوام الاسلامية الشعوب العربية ومنها شعوب المغرب العربى الكبير ومنها تونس هذا الترتيب الهرمى هو فى نظرنا منطقى يتدرج من العموم الى الخصوص ثم انه انسانى لانه فى الاســاس يعترف بوحدة بنى الانسان وترابطهم · هناك من يرى ارتكاز الهرم على قمته وجعل القمة هى الاساس اى ان نبدأ بالتونسة ثم نرتفع الى العروبة ثم الى الاسلام ثم الى الانسانية · هذا الترتيب قد يكون مناسبا للمبتدئين الصغار على أن يفهم فيما بعد بان الواقع العلمى هو ان فى البداية كان الانسان والانسان يشمل الاسلام والاسلام يشمل الاكثرية الساحقة من العرب والعرب يشملون المغرب العربى الكبير والمغرب العربى الكبير يشمل تونس · ولا حاجة للتأكيد بأنا نستعمل مصطلح « العرب » بمعناه الواسع الحديث وليس المعنى الرسى الضيق·

ان هذا التسلسل يعترف بالشخصية التونسية ويدعو للمحافظـة عليهـا وتنميتها وهذا ما استهدفه كتاب « الشخصية التونسية »· نحن لا نسير مع الذين يريدون دمج الاقطار العربية كلها ضمن وحدة مركزية عظمى · فالامـر غير عملى وغير مفيد بل انه ضار فعلا · فتعدد الشخصيات القطرية العربيـة المتحدة تعطى الامة العربية قوة خلاقة لا حد لها · ولقد علمتنا التجارب الحديثة خطأ الدمج بين سورية ومصر من سنة 1958 الى 1961 · فقد فشلت التجربـة بشكل محزن · واذا كنا لا نرتضى عملية الدمج ومحو الشخصية لكل قطر ذى

شخصية متكاملة فانا ندعو بالحاح الى القضاء على الحواجز القائمة بين الاقطار العربية • نحن من دعاة وحدة اتحادية (كونفدرالية) بين الاقطار العربية على ان نسير نحو هذه الوحدة بخطى حثيثة وبصورة جدية •

وكما اننا نحذر من مغبة الوحدة الاندماجية التى بها تمسخ وتذوب الشخصية كذلك تحذر من المغالاة بالتمسك بالشخصية القطرية وتكريس الانعزال كما حدث فى الدعوة الى عزل مصر باسم « الفرعونية » ، نحن استبشرنا خيرا يوم دخلت مصر جامعة الدول العربية فلا العزلة تحقق اهدافنا القومية ولانظرية الدمج والاستيلاء التى طغت على السياسة المصريـة بعض الوقت فى المـاضى القريب • وما قيل عن « الفرعونية » يقال عن دعوة الحزب القومى السورى الى تأسيس أما سورية(تتكون من الهلال الخصيب ونجمة قبرص)مستقلة عن الامة العربية • العالم اليوم يسير نحو التجمعات ونحو الوحدات السياسية الكبرى • فالاقطار العربية وهى مترابطة مع بعضها جغرافيا وتاريخيا تجمعها وحدة اللغة كما يؤاخى بين ابنائها الايمان بالله الواحد الاحد اله ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد • مكملة بعضها البعض اقتصاديا وثقافيا مدعوة الى تحقيـق اتحـاد كونفدرالى فلا دمج ولا اذابة للشخصية من جهة ولا عزلة او استعلاء من جهـة اخرى •

مميـزات الشخصيـة التونسيـة :

الشخصية التونسية تشترك مع شخصية سائر الاقطار العربية فى كونها انسانية واسلامية وعربية وتتميز عنشخصية سائر الاقطار العربيةبمايتركه مناخها المعتدل وطبيعة ارضها الخضراء وبما تركه تاريخها المحلى والعالمـى من تأثير سجايا سكانها وبما حققه قادتها ومفكروها من تنظيم وابداع وما يقوم به مربوها من توجيه وبناء •

اما ان للطبيعة والمناخ أثـرا على حيـاة الشعـوب وشخصيتهـا فهـو امـر يؤيده الواقع والاختبار وقد شرح ذلك ابنخلدون فىمقدمته كما أيده الاستاذ هنتنغتـن Huntington فى كتابه « سجايا الاعراق » «the Character andraces » الذى ظهر فى الثلـث الاول من هـذا القـرن • ونحن لا نشـك فى أن لاعتدال مناخ تونس اثرا واضحا فى سجايا أهلها اللطيفة والمعتدلة بينما المناخ الناشف الجاف كما هو الحال فى أواسط العراق له أثر فى طبيعة العراقيين العنيفة والمتطرفة احيانا •

ولا شك فى ان للتاريخ وللفاتحين اثرهم ايضا فى سجايا الشعوب • والتاريخ ذو علاقة مباشرة بالموقع الجغرافى فحيث تكون البلاد معبرا للفاتحين والغزاة كما هو الحال فى تونس والعراق مثلا قد تنشأ صفات التحدى كما قد تنشأ صفات الانزواء أو الاستسلام •

أما دور القادة والمفكرين والمربين فى تنظيم شؤون الشعب وبناء شخصيته فهو من الامور البديهية التى لا تحتاج الى برهان ويكفى تونس دليلا على ذلك ما قام به القائد المجاهد الحبيب بورقيبة فهو ومن آزره من الشيوخ والشبان استطاعوا ان يضمنوا ثقة الشعب فساروا به نحو التحرر والاستقلال • والان يجدر بنا ان نتساءل ما هى الميزات التى تمتاز بها الشخصية التونسية بعد هذه المؤثرات ؟ ان الزائر لتونس سرعان ما يلاحظ المزايا التونسية التى يعجب بها • ومع ان اى واحدة من هذه المزايا قد تتوفر فى أى قطر من الاقطار العربية الا ان توفرها مجتمعة هى من مزايا تونس الخاصة وها أنا أعدد بعض هذه المزايا :

1) لطف الشعب التونسى وتأدبه
2) نظافة الشعب التونسى
3) حبه للعمل والمثابرة •
4) حبه للعلم والتعلم •
5) اعتداله واتزانه واحترامه للنظام •
6) احترامه للمنطق والعقلانية مع ضبط الاعصاب •
7) تمسكه بدينه وتقاليده
8) تفتحه على الخارج •
9) له لهجته الخاصة به فى العربية
10) حبه للفن وحسن ذوقه •

وفى رأينا ان البورقيبية وما تنطوى عليه من تأكيد على الشمول والانسجام والتطور الى الاحسن هى اصدق تعبير عن الشخصية التونسية •

دور التربية فى بناء الشخصية التونسية :

ان التربية تشكل فى نظرنا أهم عامل فى بناء شخصية الامة إذ عليها يتوقف تنشئة نوع الانسان الذى يقوى هذه الشخصية او يضعفها •

لقد تلوت بكل تأثر وتقدير ما ورد فى « الشخصية التونسية » حول اوضاع التربية والتعليم فى عهد الاستعمار ولا سيما ما حصل من « غربة لغوية » ومجاعة تربوية قصد بها المستعمر اضعاف الشخصية التونسية . ولما كانت اللغة هى من المقومات الرئيسية للشخصية القومية فانه حاول طمسها واذلالها . هذا وان افظع انواع الاستعمار واكثرها نفوذا ودواما هو الاستعمار الثقافى . ولذلك فقد كان من نصيبى فى مؤتمر سان فرنسيسكو سنة 1945 حيث كتب ميثاق الامم المتحدة ان اقترح نصا أدخل فى الميثاق يلزم الدولة المستعمرة احترام ثقافات الشعوب المولى عليها وهى تشمل اللغة القومية بالطبع (المادة 73 ب من الميثاق) .

ولقد لفت نظرى حديثا وانا اتصفح دستور كوريا الشمالية المعلن فى التايمس (اللندنية) فى عددها الصادر فى 27 ديسمبر 1974 المادة 46 من الدستور والذى نصها :

«الدولة تدافع عن لغتنا القومية ضد سياسة الاستعماريين واذنابهم المخربة لها . وتنميها لتصبح مؤهلة لتلبية حاجات العصر الحاضر » (الترجمة عن الانكليزية لكاتب المقال) ما احوج البلاد العربية التى رزحت تحت نير الاستعمار ان تأخذ بمنطوق هذه المادة فتحل اللغة القومية المحل اللائق بها . وفى رأينا أن أهم ما تحتاج اليه البلاد العربية اليوم هو تفكير واعادة نظر جدية فى اوضاع التعليم من نواحيه الانسانية والاسلامية والقومية وعلاقته بالحياة المتطورة بفضل العلم والتقنية والتنظيم الاقتصادى والاخذ بأصح الاساليب والمناهج التعليمية قديمها وحديثها .

الكل مجمعون على حاجتنا الى اتقان لغة اجنبية واحدة على الاقل ويفضل الاخذ بلغتين اجنبيتين فاكثر ولقد اختارت تونس اللغة الفرنسية وهى لغة علم صحيح وفلسفة وأدب رفيع وكل ما نرجوه ونتمناه هو ان نقتبس من الفرنسيين غيرتهم على لغتهم وعملهم على الرفع من شأنها فنعمل الشىء نفسه مع لغتنا العربية المحبوبة . فوضع لغتنا العربية فى المدارس وفى الحياة يتطلب اعادة نظر على جميع المستويات ولا سيما على المستوى الجامعى فقد ورثنا من عهود الاستعمار شيئا من التشكيك والازدراء باللغة العربية الامر الذى ادى بالبعض الى ترك استعمالها والانصراف كلية الى اللغة الاجنبية . ان عدم اقبال الشباب الجامعى على مطالعة الكتب والمجلات العربية يرجع الى عوامل عدة اهمها عامل

تربوى . فلو عنى باللغة العربية ودرست باساليب جديدة حية وفعالة فى كل مراحل الدراسة ودرس كل علم باللغة الاجنبية بعد ان يدرس بالعربية لشاهدنا ترابطا وتعاونا بين اللغتين القومية والاجنبية . اما ان تدرس الدروس العلمية من الرابع الابتدائى فصاعدا باللغة الاجنبية ولا تستعمل العربية ففيه حرمان الطفل التونسى من تعليم لغته القومية اذ ان اللغة تكتسب فى كل الدروس وليس فى درس اللغة وحده . وما يقال عن العربية يقال عن الدين الاسلامى فانه يعطى على المستويات الابتدائية والثانوية ويحرم طلاب المعاهد العالية من درس دينهم وقرآنهم وفى ذلك ما فيه من ضرر واضعاف للشخصية التونسية . ونتيجة حرمان طلاب المعاهد العالية من درس لغتهم ودينهم وفلسفتهم القومية (المتمثلة فى البورقيبية) هو ان نشأ عندنا جيل يحوى أفرادا تائهين عقائديا او هدامين سياسيا ولو انهم قلائل لحسن الحظ .

واخيرا نقول نحن نعيش فى عصر تضاربت فيه التيارات والاتجاهات ونحن استيقظنا وبدأنا نبحث عن شخصيتنا ومستقبلنا . وهاهى الظروف السياسية الدولية والاقتصاد الدولى تعيد للعرب تدريجيا مكانتهم اللائقة فى التاريخ واصبحت اللغة العربية من اللغات المعترف بها والمطلوب تعليمها عالميا . والعالم الاسلامى بدأ يبعث حيا من جديد ويبحث عن مستقبل أفضل . نحن نأمل ان يكون لتونس البورقيبية الدور الطبيعى فى ريادة العالمين العربى والاسلامى وذلك يتطلب اعادة نظر جدية فى نظم ومناهج التربية والتعليم واعداد المربين المهيئين لتحقيق الانتماء والولاء للشخصية التونسية وحمل رسالة بورقيبة الى الانسانية عامة والاسلام والعروبة خاصة .

هذه ملاحظات عجلى خطرت لى وانا اتلو كتابكم القيم الشخصية التونسية أسجلها مع اعتذارى عما فيها من فجوات او هفوات ولكم فريد الشكر من اخيكم

محمد فاضل الجمالى

اعوام يوسف السبع

شعر : محيي الدين خريف

لا تغلق السجن فى وجهى وتتركنى
لظلمة السجن
لا تعرف الكأس عنى ثم تحرمنى
من نشوة الحزن

* * *

ليس يبعدني عنك فج قصى
ولا حارس يستحل الظلام ويجهل عمر الظلام
ليس يمنعنى منك سور حصين
وجهد تبدد من ألف عام
لا تمل الاحاديث عنك
ولا يسأم القلب من ذكرك العاطر
أنت أشهى الامانى ، وأحلى الاغانى التى ضمها خاطرى

* * *

لـوزة ازهـرت بقلب ربيــع غاب فى طيه الوجـود المـل
ليتـه عاد لى بما فى شبـابى من رواء ما زلت منـه أعـل

* * *

أغلق الحارس الباب والسجن جهم
وفى داخل السجن ليل أبيد
أين مصباح « ديوجين » أحمله فى ظلام
ليس فيه لداخله من مزيد

ارفع السجف الحالكات معي ولنجدف
الى البر ما دام منا بعيد

* * *

لا تحبس الماء عن عطشان عذبه حر الأوام وجافته الأباريق

لا تقتل النور فى ظلماء حالكة فقد أضر بلحظ العين تحديق

* * *

هنا يسحب الثلج مئزره
ويظل يغنى ويعزف للجن ألحانه
هنا ينضب الدمع تشحب كل الشفاه
هنا يستظل الشتاء ويبدع ألوانه
فمن لى بركن قصى وقلب أحدثه وبلاد
ومن لى بدهر يرانى وأعواد فلك
وبحر أجدف فيه بكل عناد

* * *

قد تخطاك عاصر العنب الشتوى والخمر أفرغت من جرارك

دارك المنحنى ورابية الواحة فاذهب وكن وفيا لدارك

* * *

سرجوها خيول الأمير
وذا موسم الصيد وهو وفير
باركى حزننا يا متاهات افريقية فدموع الصبايا
هطلت والزمان عسير
باركى حزننا فنداءاتنا
غرقت فى ظلام الشتاء
ليس من يلبس القطن والصوف
مثل الذى يتغطى بوجه السماء

م٠ خ٠

البكاء بشفتين من الدموع

« اليها في منفاها النائي »

كتابة محمد صالح الجابري

بين الوسادة والحلم حملت خنجري وأهويت به على رأسه · تقهقر الرجل الذى كان يهم بالانحناء على حبيبتي وتفادى ضربات القدر فأخطأته الطعنة· لكن حبيبتي ارتاعت وفغرت فمها بصوت مصم كالدهر ، وتعلقت بى تعلق المستغيث ·

أفزعنى أننى فشلت فى أول محاولة قتل أقدم عليها ، وغمرنى الخجل والرعب من أن أظهر أمام أجدادى الذين سيصيبهم عار الشرف الذبيح الذى لم يجد له فتى يثأر له ، فواريت وجهى بكفى ، وانخرطت فى نشيج مكتوم ·· نشيج الرجل حين تفلت منه الفرصة المواتية ·

ومن تحت الملاءات تسربت يد خفية ، وقشعت الغطاء عن وجهى الغارق فى بحران العار والغلبة والحزن ·

* * *

كان النهار على أشده ·· مرآة عاكسة للاوهام الفاشلة ، ورائحة الفل والياسمين تغشى كل مكان من المنزل الذى أسكنه، وعصفوران فتحا منقاريهما وأخذا يرتلان أناشيدهما فى اتجاه نافذة البيت المجاور للنزل ·· ونفح من عبق الازقة الواجمة وصل أنفى الذى بدأ يتحسس الحياة خارج السرير حيث استغرقت فى نوم طويل ·

يصر صاحبى على أننى أعانى من دوار البحر منذ اجتزنا مضيق بحر الظلمات· وأننى أصبحت كثير الهذيان أنام وعيناى مفتحتان على الشرق ، وأن اصداف البحر التى واجهنا أكواما منها عند شاطىء (مالقة) كانت تخرج منها حيوانات صغيرة لزجة تصرخ كلما أعولت البواخر فى الهزيع الاخير من الليل · لذلك لم يبرح مكانه الى جانبى يشد أزرى فى لحظات الصحو العابرة التى تمخر السماء فى ركض جنونى ·

كان يمسح وجهه توتر عصبى ، ويرين على قسماته وميض محموم ، وكان يحاول أن يكون فى أتون الازمة ، فيرفع يديه متضرعا كلما سقطت فى

الغابة رجوم مكسورة ، ويكتفى أحياناً بالنفخ جنوبى الانهار أين تموت روعة البصر ٠

ساعة الرحيل عويل ممتد يسحب أقدامى الى أطراف الشمال ٠٠ طريقنا ليست واحدة ٠٠ بذا كنت أوجه النصح اليه ٠ فالصخور وأحجار الطريق تتبدد تحت أقدامنا ٠ وجميع القطارات تتجاوز المحطة التى نقف عندها لنقلع الى الطرف الذى اختارته غرناطة متكأ ومقاما ، وتتركنا ثنائيا تتشابك ظلالنا سوداء كالطامة ٠

نصحته بأن يصابر على الفراق ، ويتزود بما بقى له من العزيمة الظافرة ، ويخلع عنه القلب الشجى ، ويكمل سياحته بلونها البنفسجى٠٠لون غرناطة عندما تحس بالاشتياق ، وتتباهى بالامانى ، وتتحدى تصاريف الازل ، لكنه بكل فطرة البداوة يرفض أن يقال انه ترك رفيقه واندحر ٠

وعند الضحى طرقنا أبوابها من أعالى الجبال التى تطوقها كالســوار فى معصم حبيبتى ٠٠ وأشرفنا على ذراها وعماراتها بيضاء فى شمس لا تأفل ، وغربنا فيها عيونا وقلوبا ومسافات ٠٠ وآوينا الى أول نزل نحط الجهد عن أكتاف مثقلة بهموم الاحساس بمساكن نائية ٠

* * *

فى الساعة الواحدة يختفى كل شىء فى مدينة غرناطة : الظلال ، والظفائر والطرقات والمغازات ، ولا يبقى فى الميادين غير عبق الفل والياسمين والعصافير التى تأتى لتوقظ المسافرين الذين أرهقهم تعب السفر فاختاروا الضحى مقيلا ٠

ويهيمن فوق كل ذلك قرع رتيب متوازن يصدر عن الساعة العالية التى تتربع مفترق الطرقات منذ آلاف السنين فى جلال بهيج لتسمع الجميع صدى توجعاتها الاليمة التى تصيبها كلما تحولت عقاربها ساعة الى الوراء ٠

غرناطة فى الظهيرة توصد أبوابها بابا بابا ٠٠ وتتعلق السلالم عـــلى الشرفات الى أن يأتى عميد البلدة الشيخ المسن الضامر الوجه فيأذن للناس بمبارحة مخابئهم الرخية الظليلة ٠٠٠ عندها تجنح الشمس الى افول ثابت٠

وللمجانين والعشاق يظل شارع واحد فقط لا بآب له ولا رقيب عليه ، يرتاده كل من قامر بنفسه وفقد المسيطر عليه ، وباع للعشق قلبه بأبهض

التضحيات • يهتدى الى ذلك الشارع نفر من القوم أسماؤهم مدرجة فى القائمة الوردية المعلقة على ناصية من القوس •• يجدونها محفورة هناك ، ومرشوشة بلون دمائهم •

انهم الوحيدون الذين شوهدوا ويشاهدون فى كل أوان يتسللون من شقوق النوافذ والابواب ليجوبوا الطرقات الموصدة بحثا عن حبيبات اختفين فى ظروف غامضة أو يبكون الحظوظ العاثرة والذكريات المرة •

وتنبيها لاولى الالباب ممن تجنبتهم لوثة العشق ، وضعوا على ذلك الباب الوحيد المفتوح عند الظهيرة لافتة كتب عليها بأحرف عربية ضرب عليها البلى : « نحن ننصحك بألا تجازف بعبور باب المجانين والعشاق » •

ورغم ما قد يلاحظ فى هذا المعنى من التشديد والمباغتة فان العشق لم يكن فى يوم من الايام احدى التهم التى يتنصل منها مواطنو وحتى زوار غرناطة •• انهم يضعون العشق فى مرتبة الفضيلة التى لا يبلغها الا الفضوليون والبائسون ، ومن قلوبهم تغتسل كل ليلة فى بركة من النزيف الدموى •

أما الجنون فدونه خرط القتاد •• مرقى لا يصل اليه الا الاصفياء الذين سقطوا بين الطفولة والموت والخيانة •

الحب فى غرناطة أمر معلن ، ممارس فى الجادات ، ونواصى المقاهى ، وتحت ظلال الكنائس ، وفى الخمائل التى تحجب كل سترة من أستار البيوت • على مرأى من ساعات الميدان ممارس • وتحت سمع وبصر الثيران المحشوة بالقش المطلة من واجهات المحلات التجارية •

أما العشق •• أما الجنون فغايتان عسيرتان لا تدركان الا بتقرح الاكباد ، عندما تشيخ الاعمار ، ويختنق الخوف والخجل والمآرب ، ويربض فى الاعماق زمهرير بلون الغسق •

من ثمة كان الدليل السياحى لمدينة غرناطة محكم التفصيل ، تنبه كل فقرة منه لاهواء المناخ الذين يسود المدينة ، ويحذر فى جزء من أرض ماؤها عشق •• وترابها عشق •• وهواؤها عشق •• ولغتها عشق ...

ولقد كان الى حين يمكن اعتبار مثل هذه الملاحظات نكتة أندلسية مولدة من غزل القمر الذى يتواجد عند مصب (الوادى الكبير) فارس العشق

البكر الذى يطوق خصر اشبيلية العذراء حيث يستلهم المنشدون الرحل كل الاقاصيص الاولى عن الهيام والوجيب ويطوفون بها أرجاء تلال (البويبلو) وهضاب القديسة (عولالا) ٠٠ فجاءت الاحداث وأكذبت كل الظنون ، ليصبح دليل غرناطة فى نظر كل من عانى وجرب وثيقة مكتوبة بأقوال مهرة المنجمين وكتابا فى صدق القول ٠

فكثيرون هم أولئك الذين دخلوا غرناطة مكذبين لكـل قصـص الهيام ، مستهزئين بما حسبوه أوهاماً من صنع الخيال ، فاذا بهم لا يبقى منهم سوى أسماء على ناصية شارع العشق ، وبقايا خطوط من الدماء المطلولة ٠

ان الغايات بعيدة المنال دائما ٠٠ وتكاليف الامانى باهظة مشطة ٠٠ تلك هى الحكمة التى شاب عليها كل من فاز « بنجاته » مـن الآبـاء الاسبـان ، وعاشوا عمرا مديدا ليشاهدوا المجانين والعشاق يصوغون خلاصهم أشعارا وأحلاما٠٠٠ليشاهدوا أجيالا من الوافدين على مـدينتهم يصطفـون متأهبين للحداد كواحة من النخل فى ليلة داجنة ٠

* * *

بمجرد أن انسللت من غرفتى عند الظهيرة ، تناهض العصفوران وقفـزا من فوق الغصن الذى استقاما عليه ، واستدارا من حولى وضربا بأجنحتهما فى الآفاق الزرقاء الرحيبة ٠ واصطفقت نافذة الجيران فى حدة واستياء ٠ أهناك من يسمح لنفسه فى مثل هذه الساعة الرمادية المكتظة بأن ينغص على الطيور شدوها ؟. أ هناك من تحدثه نفسه بمبارحة بيته فى مثل هذه الساعة ؟. أحسست أن جميع مشاعرى تستشيط غضبا ٠ ولم أشأ أن أوقظ صديقى من صحوه ليدلنى على الدواء الذى كان يطعمنى اياه كلما اختلجت مشاعرى وأصابنى الدوار والغشية ٠

كنت أحس بالضيق والوحل ٠٠ وكنت أشعر بدوافع عارمة تسحبنى الى خارج النزل ٠ الى الباب الوحيد المشرع فى وجوه الذين وطئوا مثلى مسارب الهوى ٠٠ فوجدت خطاى تنقادان نحوه على رغمهما صاغرتين ذليلتين ٠

* * *

قوس واحد يدلف منه الداخلون : هناك على الناصية اليمنى قرأت اسمى واسم حبيبتى محفورين فى آخر القائمة ٠ بالدم تنهض حروفهما مستقيمة مليئة موتورة كنبض العروق فى رقبة بحار ٠ لمحت العاصفة تتجول وتقتحم الطرقات عنوة ، متوهجة كصهيل خيول العرب التى اقتحمت جبل طارق ٠

كل شيء ملتفع بضباب شمس تضرب الى الحدة • داهمنى الخوف الذى يصيب الاطفال فى ليالى الشتاء وتواثبت قبالتى كل الاحداث المريرة التى تركتها ورائى • ومن بعيد لاحت لى حبيبتى مشدودة م نشعرها الخروبى تجرها عربات مطهمة تقودها الى قصر البلدية ••• أين أجبروها على الزواج من رجل لا تحبه ، وبتروا أصابع يديها جميعا لما أبت أن تضع خاتم الخطوبة وتمهر العقد •

عادت كل الاحلام المفزعة الى ذاكرتى : الخنجر ، والرجل والصيحة النقية البائسة التى تفجرت من حنجرتها ، وانشقت لها جبال الجليد فى الشمال ، وافقدت الجداول مجاريها ، فارتعدت وغمغمت ووضعت كفى على عينى اللتين صهدتهما الشمس ، ولم أعد أبصر غير اسمها المطلول بالدم عند ناصية القوس •

ومن خلال ومضة كقشرة الفضة نهض بينى وبين الشارع حاجز مديد ، حالك اللون • وبرقت عينان بلون الماء الذى يسيل فى الحنفيات عند الصباح وشرع رجل كفه فى وجهى وهو يزيح عنى ذلك الخفقان الذى تولانى وأقعدنى دون أن أستطيع مواصلة الطريق •

كان نحيف القوام ، بهى الطلعة والوجه واللحية ، يرتدى مسوح الرهبان السوداء ، ويتقن فن الابتسام الذى يعيد التوازن للمحيرين القلقين قال الرجل يبذر بذور الاطمئنان فى نفسى :

ـ كيف الحال أيها الابن • مالك مقصوص الجناح • ارفع هذا الاضطراب عن قلبك •

قلت وأنا أستند الى كتفه ، وأتشبث بكامل جسده :

ـ أبتاه كثيرا ما تردينا الاحداث فتزعزع آمالنا وتصيب منا القرار •

رنا الشيخ الى وجهى مليا ، وبرقت عيناه بحمرة من لم ينم الدهر كله ، ومد كفه تتفحص جبينى الذى يتفصد عرقا وحمى :

ـ من أية تربة تدفقت هكذا حارا كالبرق •• كاللوعة •

قلت وانا ارى حبيبتى تقتحم شاشة ذاكرتى بقامتها المديدة ، وتتدانى منى رائحة شعرها القرنفلى الآسر :

ـ أنا مثل الناس الذين سكنوا هذه الارض

أنا من جنس عربى ··· جنس كان صديقا قديما للشمس
أنا من أولئك الذين كسبوا كل شىء ، وفقدوا كل شىء
وروحى هذى روح الزنابق العربية الاسبانية ·

توقف الراهب قليلا ، ومال بى الى شجرة على ناصية الشارع لنصيب الظل والراحة ، وبيده الناعمة جعل يرفع الاغصان متئـدا عـلى توقيعات القصيدة مستعيدا نبراتها بينه وبين نفسه · وهو يقول :

ـ هذا الشعر لمونه بل ما تشادو · أليس كذلك ؟. انه أهم شاعر فينا · أمشاجه العربية جياشة ، وله أهواء فى كل المشاعر ·

وبلهجة المتمرس على أفانين المواساة ، أحب الراهب الشيخ أن يبتعد بذاكرتى عن مدارها الصارم الذى شدت اليه كقارب مولول، فأخذ يقول لى :

ـ وهل قرأت لغيره ؟

قلت مجاملا :

ـ كثيرا ما أعجبت بلوركا ، وثيسر قاييخو ، وخوان رامون ، وأونامونـو وبقية العترة ·

قال الراهب بصوت كالحق صحوة وجرأة :

ـ اذن عليك أن تغمض عينيك لاعرف أسرار قلبك · ان من يقرأ لهؤلاء الكبار ، لابد من أن يخونه قلبه ·

قلت كالمستغيث وأنا أراه يلمس كل جراحى المتعفنة ·

ـ اننى أموت فى شرنق من الحرير كالدودة الصغيرة · منذ أيام نزلت أرضكم فأحسست أنى أفقد حبيبتى هناك فى مساكنها ·

طوح الراهب رأسه علامة من يعرف كل هؤلاء الذين تضطرهم أحوالهم الى اجتياز هذا القوس · وظهر الاشفاق على وجهه جليا ·· وأن باكتئاب وهـو يقترح على أن نأوى الى بيته القريب نستريح بعض الوقت ·

عبثا حاولت التملص من قبضته ٠ فقد شد على ذراعى وشرع يسحبنى حتى باب البيت ، ودفع الباب لنجد أنفسنا فى باحة حوش عربى الطراز تظلله خمائل من الورد ، وتتوسطه نافورة من الرخام ، وقد فرشت أرضه جليزا متظافر الورود والالوان ٠

بداالافق محاصرا بجدران اربعة ، وظلال شجر الليلك والدلب والجوئن تتسلق الزوايا والاركان ، وتمد زهورها وأعناقها لتحدث فجوات فى السماء الصحو بعرض اسبانيا من طرفها الى طرفها الآخر ٠

قال الراهب وهو يقدم لى كرسيا :

ـ كل ما تحتاج اليه يا ولدى هو النجاة ، ذلك هو العلاج الذى عليك أن تطلبه ٠

قلت بتوجع من يلمس الطبيب أعماق جرحه بمدية حادة :

ـ وهل بقيت نجاة بعد اليوم يا أبتاه ؟

فى هبة واحدة ثارت جميع الاشجار والزهور فى باحة الحوش ، وشرعت تنوح وتعول بأصواتها اللدنة الهينة ٠٠ جنازة صامتة تعزفها الطبيعة ٠ ونثرت النافارة مزيدا من الرذاذ على وجهينا ٠

وفى اشفاق ظاهر مد الراهب طرف كمه الى وجهى يزيح القطرات التى علقت به من ماء النافورة ، وهمس فى أذنى :

ـ كلنا يعرف قلبك أيها الولد ٠ اننا من لحم ودم ٠ ولقد اعتدنـا مثلـك أن نحيى صلاة الغائب فى تراتيل حزينة كابية فى مثل هذه الساعة من كل يوم ٠ ومن عادتى أن أخرج لانشد العزاء لمن تشتد بهم المحن ٠ الصدفة هى التى رمت بى اليك ٠

وبلل الراهب اطراف شفتيه ليضيف متسائلا :

ـأو لم تسافر من قبل ؟ أو لم تفارق ؟٠

قلت : بلى

لقد جبت طرقا كثيرة

واقتحمت مسالك لا يحصيها العد .

لقد ركبت أمواج مائة بحر

وعلى مائة شاطىء أرست سفنى

وفى كل مكان لم أر الا قوافل الحزن .

قال الراهب بصوت كالقرار :

ـ مواليد برج الجدى .. ومواليد برج الدلو كلاهما كثير المحن . غالبا ما تنتهى الاشواط التى يقطعونها بنكد مبرح ... ذلك هو رأى الافلاك .

قطع طنين نحلة حائمة بعض الصمت . فقلت أرفع لبسا خفت أن يقع فيه

ـ لست أعانى الخيانة يا أبتاه

قال الراهب فى برود من يعلم الاشياء علما أكيدا :

ـ أعرف ذلك تمام المعرفة . ولكنك تعانى مرارة الثقة الجريحة .

فى الدائرة اللازوردية التى تجلل مشابك النوافذ التى تتصدر جدران الغرف المطلة علينا بأفواه كعيون الموتى تناهى ذلك الرنين المكتوم الذى تختزنه أسياخ الحديد .. خافتا الى أسماعنا . انه وتر صدىء تحركت فيه برحاؤه القديمة فأز فى كبت متحفز .

ومن بعيد ضربت الساعة القديمة فى الميدان ضرباتها فى هدوء أعمى. نهضت متحفزا . فقد كنت أعلم أن بضعة دقائق فقط ما تزال تفصل على الحين الذى على أن أغادر فيه هذه المتاهة التى ألقيت فيها بنفسى . لكنه أبى على الا ان أصب دفعة واحدة ما تبقى من فنجان القهوة فى فمى ، ناصحا بأنها ستوقظ أعصابى من خدرها الذى تعانيه .

وعند الباب أمسك بكفى بين كفيه للحظات ، ونظر فى عينى بعينين لم تعرفا طعم الرقاد منذ دهور ، وأخذ يهز ذراعى برفق ومداعبة وهو يقول .

ـ أتحب أن تسمع شعرا..اسمع هذا الذى يقول صاحبك ثيسر ڤاييحو:

هناك ضربات فى الحياة عنيفة شديدة

ضربات كأنها انطلاقة غضب الله

وكأن كل ما نعانيه من ألم من جرائها

اذا به يتسرب كسؤر مرير فى قاع الروح

هى ضربات قليلة · ولكن وقعها هو ·· هو

ضربات تشق أخاديد مظلمة

فى أغلظ الوجوه وأصلب الظهور

وما ان استدرت أودعه الوداع الاخير حتى بانت دمعتان تطفوان فوق خديه ·· دمعتان فى حجم حبة الحمص · ورأيت يده ترتفع من بعيد وسمعت صوته يقول فى عنف وحرقة ونصح :

ـ عليك يا ولدى ببحر الظلمات · ان البكاء لا يجدى اذا لم يكن بشفتين من الدموع ·

م· ج·

غرناطة : 27 جويلية 1974

باريسيات - 2 -

شعر : رياض المرزوقي

① - كتحرك حبات النبتة
فى الارض الخصبة
ابطاء رجائى فيها
وجحيم الرغبه .

* * *

كحنين ليس حنين الصحبه
ليس حنين الانسان الى الانسان
كحنين شيطانى
أسعى ..
تأكل قدمى سياط الرهبه .

* * *

فى عقلى استعلاء النخبه
أقدامى فى الطين الاعكر
فى قلبى ريشة طير أخضر
ورياح الآمال المرة والعذبه .

* * *

② - فى بلد النور ،
أسعى مهجورا فى شارع وهم
مهجور .

* * *

أعانق الساعين للحياه ،
ألقى بنفسى فى خضمهم ..
منتظرا حلقة النجاه .

* * *

مرت أمامى مثل خاطر مذعور
أو مثل خيط نور ان تجسمت
خيوط النور
هل ممكن أن أعرف الظلام
بعدها ..
وأن تلذعنى عقارب البرد أو
السقام ؟

* * *

لا تسع يا نهر (السين)
غص بمائك
ذاب رجائى فى أرجائك .

* * *

③ - (باريس) يا صبارة الظما ،
يا لذعة الاحساس ،
يا فكرة أمالها النعاس
تسرى مع الدما .

* * *

لا غرو ان عشقت ،
قد عشت ملء القلب والاعصاب ،
بكل ما أملك من تدفق الشباب..
سعيت فى دروبها وذبت ..

* * *

أهواك يا مدينة الحريه
حديقة الفنون والاشعار
أوقدت فى العروق دفق النار
وعشت فى خاطرتى أغنيه .

ر. م.

تونس 1974/10/14

التفكير السياسي
في ادب التوحيدي

بقلم : توفيق بن عامر

ان ما ورد من نقد سياسي في آثار أبي حيان التوحيدي يمكن تنزيله في اطار حديثه عن المجتمع بصفة عامة · فالرجل شديد الوعي بما يشد القطاع السياسي الى غيره من القطاعات الحيوية الاخرى (1) وهو ما ينفك يذكر بالتفاعل الحادث بين شتى الانشطة الاجتماعية والاقتصادية والنشاط السياسي بذلك نراه يعتبر أن التدهور الذي تردى فيه مجتمع عصره متين الصلة بنظام الحكم وتدبيره وان المسؤول عن ذلك الوضع هم رجال السياسة قبل غيرهم ·

فكان من الطبيعي أن يولي الناقد لفتة الى القطاع السياسي في مجتمعه تقصيا للعلل التي ما فتئت تنخر كيان الامة · وهكذا أفضى به نقده الى الكشف عن بيئة سياسية عديمة التوازن والاستقرار وعن حال تنذر بالخطر فبالرغم من الطموح المعروف عن أبي حيان الى الجاه وملابسة أهله لم يسعه والحال تلك ــ الا ان يرفض ما عرض عليه من مناصب « حبا للسلامة » على حد قوله · وقد امتنع من النفوذ الى « الجبل » (2) في مهمة سفارية طلب منه خلالها ان يكون عينا ــ فاستعفى للوزير ابن سعدان (3) من هذه المهمة قائلا « ليس لي حاجة في مثل هذه الخدمة » (4) كما رفض أن يكون من أصحاب الدواوين عندما عرض عليه اقتراح في ذلك متعللا بقوله « أنا رجل حب السلامة غالب علي » (5) فان كان قد بدر منه مثل هذا الرفض والامتناع فلادراك

---

(1) « الامتاع والمؤانسة » ص 63 ج 3 الليلة 32

(2) أحد الاقاليم الاربعة التي كان يسيطر عليها بنوبويه وهي الاهواز والجبل وفارس والعراق ــ وقد كان الحكم بالجبل لركن الدولة

(3) وزير صمصام الدولة البويهي توفي سنة 375 هـ سامره التوحيدي 40 ليلة جعلها بعد ذلك موضوع كتابه الامتاع والمؤانسة

(4) الامتاع والمؤانسة ص 53 ج 1 ليلة 4

(5) المصدر السابق ص 104 ج 1 ليلة 7

حاد للخطر المهدد وهو ادراك يعكس لنا ما كان يحيط بالمناصب السياسية من معاطب ٠

اكتفى ابو حيان ـ اذن ـ بدور الملاحظ ثم الناقد وقدم لنا فى آثاره عرضا للحال السياسية فى عهده وحاول ـ جهد الطاقة ـ أن يشير الى الخلل الطارىء عليه كما منته نفسه بتدارك الوضع واصلاحه فنحن نظفر فى آثاره ـ الى جانب نقده لرجالات الدولة واعيانها ـ بنظرات طريفة فى أسس الحكم ونظامه وهى نظرات لا تخلو من قيمة اذا أحللناها محلها من البيئة والعصر ٠

(1) نقد رجالات الدولة :

أ) الوزراء

لقد سدد أبو حيان نقده الى العامة والخاصة على حد السواء وأولى انتباهه فريقا من الخاصة هم اعيان الدولة ورجالها من وزراء وملوك وخلفاء وقضاة وغيرهم ٠ لكن اهتمامه بنقد الوزراء قد كان أشد من اهتمامه بنقد غيرهم من رجال السياسة وذلك لانه قضى ردحا من حياته فى التردد عليهم حتى أمسوا يمثلون مصدر وحى فى أدبه ٠ وقد تسبب بعضهم فى تأليف عديد من آثاره فمن ذلك دور ابن سعدان فى تأليف « الامتاع والمؤانسة » ورسالة « الصداقة والصديق » ودور الوزيرين (6) ابن عباد وابن العميد فى وضع « مثالب الوزيرين » ٠ وثمة سبب آخر لهذا الاهتمام الشديد بالوزراء وهو دورهم الكبير فى الحياة السياسية للقرن الرابع وخاصة فى دولة بنى بويه (7)

وأما نقده لهؤلاء الوزراء فانه لم يخل ـ بلاريب ـ من الاسباب الشخصية بل لعل الباعث الرئيسى له قد كان غرضا شخصيا فى الاغلب وقد أقر بذلك فى صراحة غريبة عند تعرضه لابن عباد فقال : « لم يعطنى فى مدة ثلاث سنين درهما واحدا٠٠٠ولا نال منى هذا الحرمان٠٠٠أخذت أملى فى ذلك بصدق القول عنه وسوء الثناء عليه » (8) فالتحامل على الصاحب والمجاملة لابن

(6) ابن عباد (326 ـ 385) وزير بنى بويه بالرى وقد استوزره مؤيد الدولة ثم اخوه فخر الدولة

(6) ابن العميد ٠ توفى سنة (360 هـ) هو ابو الفضل محمد بن العميد وزير ركن الدولة البويهى بالرى

(7) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع لآدم متز ترجمة محمد الهادى أبو ريدة ـ بيروت 1967 ج 1 ص 169 ٠

(8) معجم الادباء 15 / 32

سعدان أمران ثابتان لكن التحامل والمجاملة لم يذهبا به الى طمس الحقائق ـ كما ذكر في قولهَ السابق ـ بل وقفا به عند تضخيم العيوب والتنويه بالخصال فسوء ثنائه على الوزيرين لم يمنعه من التصريح بحقائق جلية فاسمعه واصفا لهما بقوله « كانا كبيرى زمانهما وإليهما انتهت الامور ٠٠٠ولو أردت مع هذا كله ان تجد لهما ثالثا في جميع من كتب للجبل والديلم الى وقتك هذا المؤرخ في الكتاب لم تجد » (9) ولا يمكن أن نحمل هذه الظاهرة الا على محمل الامانة والتجرد وليس لنا أن نستدل بها على التناقض في تفكيره كما يميل الى ذلك الدكتور ابراهيم الكيلاني (10) ٠ وكذلك الامر بالنسبة لموقفه من ابن سعدان اذ لم تمنعه مجاملته له من ذكر مثالبه بحضرته والرد عليه في بعض مواقفه ٠ (11) وبصفة عامة يمكننا القول بأن أبا حيان قد كان ذا قسوة في نقده للوزراء

ب) الملـــوك

ولم يغفل قلمه نقد الملوك والامراء في زمانه وقد أولى من الاهمية للناحية السلبية في حكمهم ما أولاه للناحية الايجابية منه ، فمن ذلك اشارته الى عضد الدولة « بالملك السعيد » (12) والدعاء له بقوله « نور الله قبره وضريحه » (13) ويبدو من الواضح ان التوحيدى كان راضيا كل الرضى عن سياسة الملك عضد الدولة(14)البويهي ومعجبا بما توفر فيها من حزم ومزاوجة بين اللين والشدة وتضحية في سبيل الامة وحماية الدين فجاء من حديثه عنه « كان قد نم وخطم وجبر وحطم وأسا وجرح ومنع ومنح ووهب زمانه وحياته لهذا ٠٠٠ يجرى الامور بسنن الدين ٠٠٠ » (15) وقد ضرب مثالا على جد هذا الملك واستقامته من خلال محاسبته لرجاله على أفعالهم ومراقبته وتوبيخه للمنحرفين منهم كما كان شأنه مع ابن يوسف (16)حين قال له « أنالا أقضى

---

(9) معجم الادباء 6 / 232
(10) « أبو حيان التوحيدى » دار المعارف بمصر ـ 1957 ـ لابراهيم الكيلاني
(11) ـ نوابغ الفكر العربي ص 21 ٠
(12) الامتاع والمؤانسة ـ ص 116 ج 2
(13) المصدر السابق ص 127 ج 3
(14) المصدر السابق ص 127 ج 3
(15) الامتاع والمؤانسة ص 116 ج 2
(16) عبد العزيز بن يوسف منافس لابن سعدان تآمر عليه وقتله ثم تولى الوزارة بعده 375 هـ

حاجة لك لانك لا تقصد بها وجه الله » (17) وقد نقل أبو حيان فى كتابه « الامتاع » أحاديث عديدة للوزير ابن سعدان يمدح فيها « الماضى » (18) على حسن سياسته حتى اعتبر الوزير أنها سياسة لو استمرت لاخذ الناس بـ « طريق من السعادة » (19)

واذا كان التوحيدى قد قال ما قال فى عضد الدولة بعد وفاته فانه لم يتحرج من نقد صمصام الدولة (20) فى حياته فكشف عن ضعف هذا الملك وانقياده لكل ما يقال له وامضائه فى الامور بدون نظر فيها وبين من سوء تدبيره ما جعل وزيرا منوزرائه كابن سعدان يخشى على نفسهمن تصرفه ويتشاءم بمصيره ومصير الحكم ! يقول الوزير « عرضت على صاحبى تذكرة مشتملة على اشياء مختلفة فامضاها كلها ولم يناظرنى فى شىء منها ... فخيل الى بهذه الحال أن غيرى يقف موقفى فيقول فى قولا مزخرفا وينسب الى أمرا مؤلفا فيمضى ذلك أيضا له كما أمضاه لى » (21) وقد أشار الوزير أيضا الى استحالة الحال بعد عضد الدولة وسوئها معصمصام الدولة بقوله «فعاد ذلك كله بالضد وحال الى الخلاف ووقف على الفكر المضنى والخوف المقلق واليأس الحى والرجاء الميت » (22) كما عبر عن تشاؤمه بسوء المصير قائلا « فوجدتنى بهذا الفكر الذى فتق لى هذا النوع من الامر كراقم على صفحة ماء أو كقابض فى جو على قطعة من هواء أو كمن ينفخ فى غير فحم أو يلعب فى قيد » (23) وقد صدقت الاحداث بعد ذلك ظن التوحيدى وجليسه الوزير فى سوء تصرف صمصام الدولة وضعف رأيه وسماعه لكل ما يقال له وذلك عندما استمع الى الواشى عبد العزيز ابن يوسف(24) ونفذ رغبته فى سجن ابن سعدان وقتله(25)

---

(17) الامتاع والمؤانسة ص 148 ج 3
(18) المصدر السابق ص 65 ـ 66 الليلة 32
(19) المصدر السابق نفسه
(20) صمصام الدولة هو ابن عضد الدولة ملك ببغداد فى خلافة الطائع
(21) الامتاع والمؤانسة ص 65 الليلة 32 ج 3
(22) المصدر السابق نفسه ص 65 ـ 66
(23) المصدر السابق نفسه
(24) ابو القاسم عبد العزيز بن يوسف خصم بن سعدان ومنافسه قد تآمر عليه واوقع به فى النهاية وتولى الوزارة بعده
(25) بعد سجن ابن سعدان قامت ثورة اسفار بن كردويه سنة 375 هـ فدس ابن يوسف لصمصام الدولة ان للسجين يدا فى الثورة فقتله .

وقد تعرض أبو حيان الى موقف عز الدولة بختيار (26) زمن الفتنة التى قامت بسبب هجوم الروم على المسلمين سنة 362 هـ وهو موقف لا يخلو من حمق ورعونة وانغماس فى القصف وعزوف عن أمور الدولة . يقول « وقد أضرب السلطان عن هذا الحديث لانهماكه فى القصف والعزف واعراضه عن المصالح الدينية والخيرات السياسية ..... وكان وافر الحظ من سوء الادب قليل التحاشى من أهل الفضل والحكمة » (27)

ولعل اهم ما آخذ به التوحيدى ملوك زمانه هو البغى والطغيان والقسوة والجبروت وهى صفات تميز بها ملوك بنى بويه الى جانب ما لهم من بيض الايادى التى لا تنكر (28) لذلك نراه كثيرا ما يورد فى كتابه الامتاع اقوال حكماء فارس وغيرهم فى الملوك الجائرين كما صرح بجور الملوك فى مقدمة رسالة « الصداقة والصديق » عندما قال « انما أمورهم جارية على القدرة والقهر والهوى » (29) وأنكر الناقد على هؤلاء الملوك تعاطيهم الملذات فأورد سيرة كسرى أنو شروان فى العكوف على الصبوح والغبوق ولوم وزيره له على ذلك ثم أورد نقد صديقه أبى سليمان المنطقى (30) لهذا التصرف عند الملوك عامة ومن هذا النقد ما أكده من أن الزمان أعز من أن يبذل فى التمتع والتلذذ ومن أن نظام الدولة فى حاجة الى عناية تامة ومن أن المجانة تضعف الهيبة فى نفوس العامة والخاصة وأن « قلة الهيبة رافعة للحشمة وارتفاع الحشمة باعث على الوثبة والوثبة غير مأمونة من الهلكة » (31)

---

(26) هو ابن معز الدولة البويهى (انظر : تجارب الامم لابن مسكويه ج 5 ص 386 – 389)

(27) الامتاع والمؤانسة ص 152 – 154 ليلة 38 ج 3

(28) « ابو حيان التوحيدى » للدكتور ابراهيم الكيلانى دار المعارف بمصر طبعة 1957 – صفحة 7

(29) رسالة الصداقة والصديق لابى حيان مطبعة الجوائب القسطنطينية سنة 1301 الطبعة الاولى صفحة 4 .

(30) هو محمد بن طاهر بن بهرام المنطقى السجستانى من شيوخ ابى حيان فى الفلسفة مات فى السنوات العشر الاخيرة من القرن الرابع الهجرى

(31) الامتاع والمؤانسة – ج 2 ص 24 – 25 – 26 – الليلة 17

ج) الخلفاء والخلافة

وقد تعرض التوحيدي في أدبه الى الخلفاء في عهده فنجد له اشارات اليهم مبثوثة في كتاب الامتاع والمؤانسة كاشارته الى المعتضد (32) بأمير المؤمنين تارة وبالخليفة طورا (33) وأشاد برجحان عقله وعدالة حكمه وقبوله للنصح (34) الا ان أبا حيان قد عبر خاصة عن يأسه من الخلفاء الذين تولوا الخلافة في عهده وقد كان يأسه منهم بقدر اجلاله لسابقيهم فقد جرى هذا الحوار ليلة بينه وبين الوزير : «قال من افضل هؤلاء يعني بني العباس فكان الجواب أن المنصور أنقدهم والمأمون أمجدهم والمعتصم أنجدهم والمعتضد أقصدهم فقال كذلك هو وقال فالباقون ؟ قلت ليس فيهم بعد هؤلاء من يوحد بالذكر لانه في نقصه وزيادته مشاكل لغيره فقال : لله درك » (35)

ولعل المطعن الكبير الذي يراه التوحيدي في الخلافة العباسية عامة هو تجردها شيئا فشيئا من الطابع العربي الاسلامي في الحكم وتبنيها للطابع الاعجمي في التشبه بملوك فارس والروم ولعله من الطريف أن يقف هذا الموقف رجل فارسي الاصل كالتوحيدي وأن يصرح بمثل قوله : « ألا ترى ان الحال استحالت عجما كسروية وقيصرية فأين هذا من حديث النبوة الناطقة والامامة الصادقة » (36)

ولم يكن أبو حيان ـ بحكم تمذهبه السني الشافعي ـ يعترف بحق العلويين في الخلافة فاننا نجد في آثاره اشارات عديدة الى هذا الموقف ومن بينها « رسالة السقيفة » التي أوردها التوحيدي في كتابه « البصائر والذخائر » (37)

---

(32) الخليفة المعتضد (279 ـ 289 هـ) هو أقدر حكام القرن الثالث (انظر ص 147 ج 7 من كتاب الحضارة الاسلامية لمتز)

(33) الامتاع والمؤانسة ج 3 ص 89

(34) المصدر السابق ص 89 ـ 90

(35) المصدر السابق ص 74 ج 2 الليلة 20

(36) المصدر السابق ص 74 ج 2 الليلة 20

(37) هو « بصائر القدماء وسرائر الحكماء » ألفه التوحيدي بين عامي (350 و 365) هـ في عشرة أجزاء ـ نشر الجزء الاول سنة 1953

نقلا عن أبي حامد المروروذي (38) وهي رسالة تعتبر في جوهرها دفاعا عن شرعية حكم الخلفاء الراشدين وردا على أنصار علي وشيعته · ومن الارجح أن يكون أبو حيان هو الواضع لهاته الرسالة وان كان قد نسبها الى أبي حامد · وقد شك حسن السندوبي في نسبة هذه الرسالة (39) كما شك ابن أبي الحديد في هذه النسبة اثناء شرحه « لنهج البلاغة » مرجحا أنها من وضع أبي حيان ومعتقدا أن أكثر الاحاديث التي نسبها أبو حيان لابي حامد هي من وضعه (40)

ويصرح صاحب الامتاع في كتابه بأن بني هاشم لم يخصوا بالخلافة وأن « هذا البيت خص بالامر الاول » ويفسر هذا « الامر » بقوله « أعني الدعوة والنبوة والكتاب العزيز » (41)

ويمضي أبو حيان ـ بعد ذلك ـ في تبرير موقف معاوية والامويين عامة في تشبثهم بالحكم مثبتا أن النبي هو الذي مكنهم منذلك النفوذ فيحياته ويقول في هذا : « فان كان النبي صلى الله عليه وسلم ـ أسس هذا الاساس وأظهر أمرهم لجميع الناس كيف لا يقوى ظنهم ولا ينبسط رجاؤهم ولا يمتد في الولاية أملهم » (42) ونحن لا نشك في ان هذا التفكير يمثل انعكاسا لما كان ينشب فيالعراق زمن بني بويه ـ من نزاع مذهبي سياسي بينالحنابلة السنيين والشيعة العلويين ·

لكن اهتمام التوحيدي برجالات الدولة لم يقتصر على الخلفاء والملوك والوزراء واشباههم ممن تبوأ في الحكم مناصبهم بل تعدى هذه المراتب الى ما يحيط برجل السياسة من بطانة وحاشية

٥) البطانة

وقد اعتبر التوحيدي البطانة من اهم المؤثرات في تصرفات رجل السياسة وجعلها متسببة في صلاحه وفساده لذلك نراه يوصي أولي الامر بوجوب

(38) القاضي أبو حامد المروروذي توفي سنة (362 هـ) استاذ التوحيدي في الفقه الشافعي ـ وقد اكثر من النقل عنه في كتاب البصائر والذخائر وبعده ابن خلكان من أيمة الفقه (وفتيات الاعيان 18/1)

(39) مقدمة المقابسات لحسن السندوبي ـ القاهرة 1929

(40) مقدمة المقابسات لحسن السندوبي طبعة القاهرة سنة 1929

(41) الامتاع والمؤانسة ص 75 ج 2 الليلة 20

(42) المصدر السابق نفسه ص 74

التحرى فى اصطناع الرجال معلنا ان اصطناع الرجال « صناعة » وقد ورد فى مسامراته للوزير العارض ما نصه « أيها الوزير اصطناع الرجال صناعة قائمة برأسها قل من يفى بربها أو يتأتى لها أو يعرف حلاوتها » (43) ويضرب مثال الوزير أبى محمد المهلبى (44) الذى عرف الاصطناع و « قدم قوما ونوه بهم ونبه على فضلهم واحوج الناظرين فى أمر الملك اليهم والى كفايتهم » (45)

ولهذه الاسباب نراه ينقد بطانة الوزير ابن سعدان على لسان الحسن ابن برمويه (46) وابن يوسف (47) ومن هذه البطانة ابن شاهويه (48) وبهرام (49) وابن مكيخا (50) وهم اصدقاء ابن سعدان وقد وصفوا فى كتاب « الامتاع » على انهم : « سباع ضارية وكلاب عاوية وعقارب لساعة وأفاع نهاشة » (51)

وقد انتقد التوحيدى أحد هؤلاء وهو بهرام نقدا شديدا وعبر عن اشفاقه على الوزير منهم بسبب « قلة نصيحته » و « غل صدره » (52) وقد بين أخطر نزعة تدب فى صفوف هذه الحاشية وهى التكالب على الاثراء غير

---

(43) المصدر السابق ص 213 ج 3

(44) أبو محمد الحسن بن محمد المهلبى (291 ــ 352) هـ تولى الوزارة لمعز الدولة سنة 339 هـ والوزير المهلبى شخصية قوية قد لعبت دورا كبيرا فى العصر البويهى

(45) الامتاع والمؤانسة ص 213 ج 3

(46) هو الحسن بن برمويه ورد ذكره فى ذيل تجارب الامم كان كاتبا لوالدة صمصام الدولة واشترك مع عبد العزيز بن يوسف فى التآثر على ابن سعدان والايقاع به ثم اقتسما الوزارة من بعده . انظر الامتاع (ص 42 ج 1)

(47) انظر احالة عدد 16 من هذا المقال

(48) من أكبر عمال صمصام الدولة قام بالدعوة له بعمان حتى اذعنت له سنة 374 هـ ثم غضب عليه صمصام الدولة وحبسه مع ابن سعدان ونجا من القتل باعجوبة وعفا عنه الملك سنة 375 هـ

(49) أبو سعيد بهرام بن أردشير من رجالات صمصام الدولة وصديق لابن سعدان قبض عليه معه وقتل واياه سنة 375 هـ

(50) أبو على بن مكيخا صاحب ديوان الخزائن لعضد الدولة ثم لصمصام الدولة

(51) الامتاع والمؤانسة ص 45 ج 1 الليلة 3

(52) المصدر السابق ص 210 ج 3

مبالية بمصلحة الدولة واستقامة المملكة و « انما سؤلها تعجيل حظ وان كان نزرا واستلاب درهم » (53)

حكم الاطلاق والاستبداد بالرأى

أ) مظاهر الحكم المطلق

ولعل سر الطرافة فى تفكير أبى حيان تعليله لفساد السياسة فى عصره بحكم الاطلاق فهو يستنكر من فخر الدولة (54) وعضد الدولة تفويضهما السلطة المطلقة للصاحب وافراطهما فى الثقة بـه فقال في معرض نقده للوزير ابن عباد « وقد أفسده أيضا ثقة صاحبه بـه وتعويلـه عليـه وقلـة سماعه من الناصح فيه ..... » (55) وهذا الرأى مطابق تماما لما ذكره ياقوت وابن خلكان فى وصف هذا التفويض : يقول ياقوت فى « الارشاد » خلال حديثه عن علاقة فخر الدولة بالصاحب : « حكمه فى كـل شىء » كما يقول « لا يخالفه فى أمر من الامور ... » (56) ثم ذكر التوحيدى ان الصاحب قد صار بمقتضى هذا التفويض المطلق لا يسأل عما يفعل لذلك مضى يحل ويعقد بدون نظر فى العواقب لانه « قد أمن أن يقال لم فعلت ولم لم تفعل » (57) وقد بعثه هذا التفويض ايضا على ابرام الامـور بمفـرده والاستبـداد بالرأى دون اعوانه فانتشر الملق من حوله وأمعن فى غيه اذ « لم يبق فيمن فوقه من ينتقد ولا فيمن من دونه من يزاحم ... لا يسمع الا صدق سيدنـا وأصاب مولانا ... » (58)

ب) عواقب الحكم المطلق :

واذا كانت هذه مظاهر حكم الاطلاق فان التوحيدى قد تفطن الى عواقبه ومن بينها ما يخامر رجل الحكم من صلف وقد أورد صاحبنا أمثلة عديدة على هذا التصرف منها حادثة الصاحب مع كاتبه الخاص وخبر رجوعه من همذان

---

(53) المصدر السابق ص 116 ج 2

(54) فخر الدولة (توفى 387 هـ)

(55) رسالة الصداقة والصديق ص 33 طبعة القسطنطينية سنة 1301 هـ

(56) ارشاد الاريب ج 2 ص 273 ـ وفيات الاعيان ج 1 ص 75

(57) الصداقة والصديق ص 33

(58) مثالب الوزيرين ص (100 ـ 101) نشر دار الفكر بدمشق 1961

بعد مفارقته لعضد الدولة سنة 369 (59) واستقبال أعوانه له بالرى (60) وهى كلها امثلة تنم عما يداخل رجل الحكم من صلف اذا أطلقت يده فى الامور . يقول أبو حيان « وهذا الذى ذهب به فى الاعجاب والكبر وبعثه على احتقار الناس وتركه فى التيه المضل » (61) ومن مظاهر هذا الكبر والتيه ازدراء الناس واحتقار العامة فقد قال الصاحب لبعض حجابه وهو يريد الركوب : « نظف الطريق من هذه الخنافس والجعلان والحرابى والغربان !.. » (62) وقد جره هذا التصرف الى الاحتجاب عن الناس بالاكثار من الحجاب فكان على حد قول ابى حيان لا يقبل شكوى من حاجب بل يقول لجلسائه : « الشكوى الى من الحجاب اغراء » (63) ويعتبر ابو حيان ان الظلم من العواقب المباشرة لحكم الاطلاق فعرض علينا نماذج من الطغيان والعسف اقترفها الساسة فى عهده فهذا ابن عباد « قد قتل خلقا وأهلك ناسا ونفى أمة نخوة وبغيا وتجبرا وزهوا » (64) وهذا محمد بن بقية (65) « طغى وبغى واقتحم ظلمات الظلم والعسف .... وقد قتل ابن السراج بلا ذنب والجرجانى بلا حجة وضرب ابن معروف بالسياط وأبا القاسم ــ أخا لابى محمد القاضى ــ وشهره على جمل فى الجانب الشرقى » (66) ووصف التوحيدى بصفة أعم معاملات الساسة لرعاياهم ولبعضهم بعضا وهى معاملات يسودها التشفى والانتقام فقال : « وكأن العفو حرام والكظم محظور والمكافأة مأمور بها » (67)

ولقد تميز تفكير أبى حيان بادراك عميق لمفاسد حكم الاطلاق فهو فى نظره مقترن بسوء التدبير والتغافل عن مصالح الدولة لذا نراه يجيب عن سؤال السائل كيف تجرى شؤون الحكم فى ظل الوزير ابن عباد مع ما فيه

---

(59) المصدر السابق ص 84 ــ 85
(60) المصدر السابق ص 68
(61) المصدر السابق ص 66
(62) المصدر السابق ص 195
(63) المصدر السابق ص 265
(64) الصداقة والصديق ص 33 ــ الامتاع ص 55 ليلة 4 ج 1
(65) تولى الوزارة بعد الوزير أبى الفضل العباس بن الحسين
(66) الامتاع ص 217 ج 3
(67) المصدر السابق ص 217 ج 3

من غفلة عن المصالح بقوله « والله لو أن عجوزا بلهاء أو أمة ورهاء أقيمت مقامه لكانت الامور على هذا السياق » (68) وقد قدم صاحبنا صورا لتلك المصالح المهملة من سوء نظام في استخلاص الخراج ومن غفلة عن المختلسين وعن الاخطار المهددة لكيان الامة كما ذكر ما كان يشغل بال أولى الامر من خلاعة ومجون وما يصرفهم عن مهام الرئاسة من مجالس يتصدرونها فيقول في أحدهم : « رجل هذه المملكة الواسعة العريضة على ما ترى من التمكن والاستعلاء وهو لا يحصل شيئا من خراجها وعمارتها ولا ينظر في مصلحتها ومفسدتها لا يعرف المختلس منها ولا الضائع ..... وهو قاعد في صدر مجلسه » (69) أما المنغمسون في الملاذ فكثيرون منهم ذو الكفايتين فعثر (70) فانه « اغتر بشبابه ولها عن الحزم والاخذ فيما كان أولى به ... ومشى فعثر (71) الى أن ضجر بعض جلسائه بتصرفه فأراد وعظه وارشاده بقوله «انت لاه ساه عما يراد بك يسبيك هذا المزرفن وهذا المرخى وهذا المغرض وهذا الحليق وهذا النتيف وهذا المعقرب الصدغ وهذا المصفوف الطرة وبالكاس والطاس والغناء والقصف والناى والعود .... ان سكت عنك كمدت وان نصحتك خفت منك » (72)

ولم يغب عن فطنة أبي حيان ان هذه الاوضاع تشكل مناخا ملائما للسعايات والدسائس ففضح بقلمه ما كان يحاك وراء الستائر من أحابيل على يد بطانة الملوك والوزراء فقد كانت الحياة السياسية في عهده مسرحا لاضطرابات عديدة بسبب هذه الدسائس وقد نقل لنا في كتاب الامتاع تذمر الوزير ابن سعدان من هذا الوضع قائلا : « أرى واحدا في فتل حبل وآخر في حفر بئر وآخر في نصب فخ وآخر في دس حيلة وآخر في تقبيح حسن وآخر في شحذ حديد وآخر في تمزيق عرض وآخر في اختلاق كذب وآخر في صدع ملتئم وآخر في حل عقد وآخر في نفث سحر » (73) كما أشار في مواطن مختلفة من كتابه المذكور الى كيد عبد العزيز بن يوسف (74) للوزير ابن سعدان

---

(68) الصداقة والصديق ص 33
(69) مثالب الوزيرين ص 101 (الحديث عن الصاحب بن عباد)
(70) هو على بن محمد ذو الكفايتين
(71) الامتاع ص 218 ج 3
(72) المصدر السابق نفسه
(73) المصدر السابق ص 64 ج 3 ليلة 32
(74) انظر الاحالة عدد 24

وذكر ما كان يروجه هذا المنافس الخطير بين العامة من أراجيف وطعن في سياسة الوزير العارض (75) وكأن أبا حيان قد تكهن بمصير جليسه الوزير عندما حذره من مغبة هذه السعايات المحيطة به والتى ينسج خيوطها افراد مثل ابن يوسف وجماعات مثل « ذوى مليحا » فحذره بقوله : « هاهنا ناس اذا تلاقوا ينفث بعضهم الى بعض بما هو صريح وكناية ٠٠٠ ولذوى مليحا فى هذا الباب نفخ وايقاد وتناقل وائتمار ومسألة وجواب » (76) لكن الوزير ما لبث أن سقط فى شراك المؤامرات وكانت نهايته أليمة بما ناله من سجن وقتل ٠

تلك هى أبعاد الفساد الذى تسبب فيه حكم الاطلاق ٠ وآثار التوحيدى زاخرة بالفوائد عن الفساد السياسى فى دولة بنى بويه لكنه لم يقتصر على بيان الادواء انما اشار الى العلاج أيضا والعلاج الصالح فى نظره هو الاصلاح السياسى لان رأس الداء كائن فى مناهج الحكم وطرقه ٠

أسس الاصلاح السياسى :

أ) المشـورة :

ومن أهم الاسس التى يقيم عليها التوحيدى اصلاحه ولا يرى لاى سياسة استقامة بدونها أربعة مبادىء : المشورة وحرية التعبير وتحكيم العقل والاعتبار بالسلف ٠ فقد مجد دوما الحكم القائم على المشورة واعتبر أن الرأى كالدرة يؤخذ حيث يوجد ونصح جليسه الوزير بالاعتماد على رأى أعوانه واستشارة ثقاته وخاطبه بقوله : « افزع الى الله من الاستخارة والى الثقاة بالاستشارة ولا تبخل على نفسك برأى غيرك وان كان خاملا فى نفسك قليلا فى عينك فان الرأى كالدرة التى ربما وجدت فى الطريق وفى المزبلة » (77) كما أوصى صاحبنا بوجوب الاعتماد على أهل الذكر دون غيرهم واستشارتهم فى أمور الحكم فنصح جليسه بأن يقرب جماعة من الثقات وأهل الرأى وأن يزيل الحجاب بينه وبينهم ٠ فالمشورة اذن ـ فى رأيه ـ وقف على جماعة معينة تشترط فيهم بعض الشروط اذ يقول عنهم : « انى أرى على بابك جماعة ليست بالكثيرة ـ ولعلها دون العشرة ـ يؤثرون لقاءك ٠٠٠ لما تجن صدورهم من النصائح

(75) الامتاع والمؤانسة ـ ص 24 ـ 25 ـ 26 ـ ج 2 ليلة 17
(76) المصدر السابق ص 221 ـ 222 ج 3
(77) المصدر السابق ص 224 ـ 225 ج 3

النافعة ... والحجاب قد حال بينهم وبينك » (78) واذا ما اعتبر أبو حيان الاستشارة واجبة على رجل السياسة فانه يعتبر من الواجب كذلك على أهل الذكر اسداء الرأى للحاكم وتقويم رأيه عند الحاجة لذلك يقول متحدثا عنهم : « انهم اذا أهلوا لذلك فقد قضوا حقك وأدوا ما وجب عليهم من حرمتك » (79)

ب) تحكيم العقل :

وقد بنى التوحيدى اصلاحه السياسى على أسس أخرى الى جانب المشورة منها وجوب الابتعاد عن الحكم الشهوانى والتمادى مع الهوى والغريزة وضرورة الاعتماد على العقل فى تدبير الحكم وهو يستوحى أسسه الاصلاحية هذه من مصادر دينية اسلامية وهذا واضح فى قوله متحدثا عن العقل : (80) « وما وهب الله العقل لاحد الا وقد عرضه للنجاة ولاحلاه بالعلم الا وقد دعاه الى العمل بشرائطه ولاهداه الطريقين أعنى الغى والرشد الا ليزحف الى أحدهما بحسن الاختيار » (81)

ج) الاعتبار بالسلف :

أما الاساس الثالث الذى اعتمده فى اصلاحه فهو الاعتبار بسيرة السلف الصالح فى ميدان السياسة والاقتباس من تجاربهم وكثيرا ما ردد فى كلامه عن الحكم ان « من لا تجربة له يقتبس ممن له تجربة » (82) ويرى أن الاعتبار بالماضين أمر واجب الى جانب المشورة واعمال العقل بل لعله يفضله على سائر الدعائم الاخرى التى بها تستقيم السياسة اذ يقول : « وليس فى أبواب السياسة شيء أجدى وأنفع وأنفى للفساد وأقمع من الاعتبار الموقظ للنفس والباعث على اخذ الحزم وتجديد العزم » (83)

د) حرية التعبير :

وقد انتقد التوحيدى فى عنف عادة الساسة فى حجرهم على العقول وتبرمهم بالنقد واقصائهم للعامة عن أمور السياسة وعقل الالسنة المطالبة

---

(78) المصدر السابق ص 211 ج
(79) المصدر السابق نفسه
(80) المصدر السابق ص 215 ج 3
(81) المصدر السابق ص 215 ج 3
(82) المصدر السابق ص 214 ج 3
(83) المصدر السابق ص 214 ج 3

بالحقوق وقد أخبره الوزير ابن سعدان بضجره من اهتمام العامة بشؤونه وأسراره الوزارية وبما ارتآه من ردعهم عن ذلك بالزجر والوعيد فقال له ليلة « قد والله ضاق صدرى بالغيظ لما بلغنى عن العامة من خوضها فى حديثنا وذكرها أمورنا وتتبعها لاسرارنا ..... وقد تكرر منا الزجر وشاع الوعيد » (84) لكن ابا حيان لم يوافقه على هذا الراى واعتبر أن ذلك حق من حقوق الرعية فى مراقبة الراعى وألقى على الوزير درسا فى علاقة الراعى بالرعية وهى فى رأيه علاقة محكمة « لان الملك لا يكون ملكا الا بالرعية كما أن الرعية لا تكون رعية الا بالملك » (85) وهى التى تجعل المسؤولية مشتركة بين الجانبين وتضمن العدل والامن والخير للجميع وقد ضرب التوحيدى مثالا على فوائد حرية التعبير من تصرف الخليفة المعتضد عندما بلغه أن جماعة من الموتورين يجتمعون عند تبان ويطعنون فى سياسته فمنع وزيره عبد الله بن سليمان من عقابهم وأمره بالبحث عن اسباب نقمتهم ثم قال لوزيره : « ألا تدرى أن أحدا من الرعية لا يقول ما يقول الا لظلم لحقه او لحق جاره وداهية نالته او نالت صاحبه»(86)وأورد كذلك رأى المتصوف أبى الحسن العامرى فى الدفاع عن هذا المبدأ وهو تمكين الرعية من حرية التعبير لانه حق من حقوقها ذلك الحق الذى يعده أبو حيان أمرا جاريا على « نظام الطبيعة » ومندوبا اليه فى « احكام الشريعة » (87).

صورة الحكم المثالى او السياسة الشرعية

ولم يكتف التوحيدى ببيان اسس الاصلاح السياسى بل عبر عن الصورة المثالية للحكم وهى فى رأيه مزيج من سلطة دينية شرعية وسلطة دنيوية سياسية . فأقرب أنواع الحكم الى الرشاد هو المستمد من روح الشريعة والمستلهم لطرائقها ومقاصدها لان « الشريعة سياسة الله فى الخلق والملك سياسة الناس للناس (88) والاولى بمن نظر فى أحوال الناس أن يسدد نظره بقبس من هداية الله وسياسته لعباده . فليس من المجازفة ان نقول

---

(84) المصدر السابق ص 85 ـ 86 ج 3 ليلة 34
(85) المصدر السابق ص 87 ج 3 ليلة 34
(86) المصدر السابق ص 89 ـ 90
(87) المصدر السابق ص 87
(88) المصدر السابق ج 2 ليلة 17 ص 33

ان صاحبنا يحبذ السياسة الشرعية المجسمة فى الخلافة الاسلامية وفى الخلافة الراشدية على وجه الخصوص (89) ولا يخفى علينا ايضاً ما كان يشعر به هذا المفكر من قلق وحيرة تجاه الملك الذى ظهر فى عصره مع بنى بويه ظهورا متميزا عن هيكل الخلافة. لكنه بالرغم من ذلك لم يتطرف فلم يناد بحكم دينى بحت بل أقر بأن « الشريعة متى خلت من السياسة كانت ناقصة والسياسة متى عريت من الشريعة كانت ناقصة » (90)

لكنه لا يسعنا ازاء هذا التفكير الا ان نعترف بأن التوحيدى يستمد مادة اصلاحه وعناصره من معين دينى قبل كل شىء وقد كان له من ثاقب الرأى ما سمح له باستكناه ما فى الشريعة من مفاهيم سياسية ثمينة لكنه لم يعدم مع ذلك مصادر أخرى كانت عمدة وعيه واصلاحه وهى تاريخ الدول الاسلامية السابقة لعهده ثم تجربته الاجتماعية العميقة .

---

(89) المصدر السابق ج 2 ص 2
(90) المصدر السابق ج 2 ليلة 17 ص 33

قد يكون الفطيم فجرا

شعر : عبد القادر بن شرودة

إن قطعت السنين صمتا وصبرا   فى بلادى وقد جرعت الأمرا
فلأن اللهيب يزداد لفحا   كلما ازدادت المواقد جمرا
عيرونى وما أفكت بأرضى   أى جرم أتيت حتى أعرى ؟
وضلوعى على نحولى شهود   ويداى كما السريرة طهرا
ما نظمت القريض أبغى مقاما   إن نفسى بصبرها اليوم أثرى
قد فطمت وثديها ما روائى   يا لأمى أتفطم الطفل قسرا
وحبوت على اليدين طريدا   أتحدى الطريق وعرا فوعرا
حاملا فى الجبين أخدود أمسى   حفرته السنون فى العظم حفرا
صدرها كان سنبلا وكروما   وزياتين تنخل الريح عطرا
ما ملكت عليه موضع كفى   ويقولون اننى خنت جهرا
يا بلادى اذا قضيت غريبا   فامنحينى من المرابع قبرا
ربما فاضت العظام زروعا   ونزيف الجراح فجر نهرا
وأتيت الى تبغين وردا   فشربت وما حرمتك ثأرا
اتركينى فقد أبوا أن أغنى   رب نفس تكون بالصمت أحرى
ولعلى اذا الاحاسيس شبت   سأروم الصراع ما دام فخرا
ولعلى اذا جرحت سأرمى   بحريقى ليصهر الارض صهرا
ولعلى اذا غضبت لنفسى   سأرج النفوس رجا لتبرا
أخطأ القوم إذ أرادوا ركودى   لا يروم الركود من عاش حرا
فدعينى أمرغ الحرف — عمرى —   فى ثراك فقد تقدس نشرا
حضنينى فكل رفة غصن   كف أم ترش عطفا وعطرا
حركينى ففى لسانى هطول   سوف يروى البطاح شبرا فشبرا
كان مثلى لدى الجريد وليد   عبقرى اذا تكدر أثرى
أريحى الطباع يحيى غلابا   جبل سائر يقارع صخرا
حينما دكه المنون تداعى   فى صموت فعاش للحق نصرا
فاذكريه اذا فطمت وليدا   قد يكون الفطيم ، يا أم ، فجرا

ع. ش.
رادس فى 74/10/28

نزوة فى ليل غريب

قصة بقلم : يوسف خياط

كان الليل قد اشرف على منتصفه ، وعيد عباس يعود الى منزله متسكعا متماهلا ، متجاهلا الوقت والليل والنزوع الى الراحة ٠٠ وعهده مؤخرا ، بهذه الضاحية ، انها عالم مستقل بذاته وكأنها ليس من البلد الذى عاش فيه عشر سنين ، وتقلب خلالها فى شتى الاوضاع والحالات ، ماديا ونفسيا ٠ الا ان هذا العالم ، الآن ، لغريب ويظل كذلك حتى بعد طول العشرة والمراس ٠ الليلة مطعمة بنسائم طرية ، آتية من الساحل الاطلسى الدانى ، حيث امتد شارع اتلانتيكا الى ما يقارب الخمسة كيلومتر ، بشكل نصف دائرة عامرة بالبناء المتناسق المتجانس ، بارتفاع سحابى متساو ، حتى اذا خيم الليل ، وما خيم يوما والاصيل الازرق ، يسلمه الى ما صنع الانسان ، من ضياء باهر وانوار كسلسل او شلال ، فى كل مكان ٠ وعندئذ تبدو الجادة الاطلسية فى كوبا كابانا ، مشعة ، كحدوة حصان فضية ، او قلادة لؤلؤية كالهلال ، علقت فى جيد السماء ٠

* * *

كثيرا ما سار فى هذا الشارع فى ليل وفى نهار ٠ لا الرمال البيض سحرته ٠٠ ولا المويجات المنغمات فى آذان الشاطىء ، حديث العتاب والوجد ، اثرن عاطفته ٠٠ ولا السابحات العارضات اكثر مما يخفين ، من عطاء الطبيعة وفتنتها ، كن ليحركن فيه الشعور او الغريزة او الجنس ٠ وكثيرا ما بث نفسه ، سر نفسه ، انه الجماد الساكن ، الذى لا حس فيه ٠ فلو وخزته الابر ، لما ادمته او آلمته ٠٠٠ او هكذا حسب ، وصدق وآمن ٠٠ فعاش لعمله ، آليا ٠٠ بلا هدف ٠٠ بلا رغبات ٠٠

حتى صاحت فيه اصوات ، والليل يحط الرحال فى منتصفه ٠٠٠ فاصغى للصوت الصارخ ، الضاج كهدير الامواج فى يد الاعصار ٠٠ وشمر فيه حس جارف ٠٠ وما شعر بنفسه ، الا منساقا ، وراء ذلك الطيف النحيل ، الملتف

بالسواد ، كحية ملتوية ، رشيقة ، والتفت اليه الطيف المتهادى ، مرة اخرى وقاده كفعل مغناطيس قوى ، فغذ السير ، ليدرك الطيف الخفيف ، امام مدخل بارماروكوس • وقف امام المرأة وجها لوجه ، يتفرس فى عينيها وشفتيها وجيدها وما بدا من نحرها العاجى وما نفر من تقاطيع جسمها الدقيق الصغير •• كأنه ثمرة ناضجة ، أوشكت ان تقع الى الارض من على فننها •

رد على ابتسامتها المرحبة بمثلها ، ودخلا القاعة الفسيحة ، الواهنة الاضواء الممزوجة بلون الليل المقمر ، فانتحيا مكانا قصيا كشأن ازواج آخرين لا يسألهم النادل الا عن حاجة الشراب وما يتناولون • ولهم بعد ذلك مطلق الخيار ، فى ان يجعلوا من الجلوس وسيلة للكلام او للمسة او لقبلة •

* * *

سألت النادل شيئا وسأله عيد عباس مثله • وما لبثا ان قرعا كاسين برنين مازجته نغمات موسيقية خفيفة ••• ولو كان للايدى حديث ، لارتفع الكلام ، او صوت لسمع الرنين •• الا ان لدانة اناملها ، الصامتة ، احدثت فى بشرته ، قشعريرة ناعمة• كان الى جانبها بمقعد جلدى لين ، يلامس كتفه كتفها •• وانفاسه تلامس شعرها الاسود المرخى وصفحة وجهها الاسيل • وكانت كلما طافت عيناه فى محياها ، مالت عنهما بوجهها ، تخفى نظراتها التائهة ، تاركة من شعرها ، على كتفه ، خصلة مداعبة :

« تغنج الانثى وهى زوج » •

وخزته كلمة ـ زوج ـ التى عبرت ، فى مخيلته ، طوعيا بغير اهتمام •• احتسى آخر قطرات كأسه•• وأتت بدورها ، على ما فى كأسها ، واذ مضى النادل ، مرة ثانية ، ليأتى بالراح الممزوج من الجين والثلج والليمون وقطرات العسل ، خاطبها بصوت جهد كى يأتيها ناعما مهذبا • ولم ينجح :

ـ ما الذى دعاك لمناداتى ؟•

ـ لم اناداك ••

« والصراخ فى اذنى ، جاست به الانسام العابرات ، على رصيف الجادة الساحلية ، واخترق مسامعى ، واستقر فى اعماقى ••• لكأنه صراخ ابدى ••• متواصل ••• قديم قديم •• واجاب قلبى » :

ـ بل سمعتك تدعينني إليك ٠٠ لماذا ؟٠

ـ انك استجبت على كل حال ، وهذا كل شيء ٠

اشعل سيجارة اخرى :

« استجبت للنداء ٠ انا الغريب الاطوار ٠ انا الجامد المتحجر العواطف المتزمت الرغبات ٠٠ وانقدت ٠٠ ونسيت البيت وان الليل قد انتصف ، ونام الاطفال ، وتفقدتنى امهم » ٠

ـ لعلنى وجدتك غيرهم ٠٠ غير الاخرين ٠

ـ غيرهم !! من هم ؟ ٠

ـ الرجال ٠

ـ من انت ؟ ٠

ـ انا ٠٠ امرأة ٠٠ مجرد امرأة ٠

ـ انت جميلة ٠

مال عليها ، فرن الكأسان ، لامس ذراعها ٠ وبان بعض صدرها ٠٠ وبعض ظلال فى عينيها ، كهالتين من زرقة ، من سواد ، تخفيان اسرارا ، بمقدار ما تبيحانها فى سرير معتم الجو ٠

« انها امرأة ٠٠ بلا قيود ٠ طليقة الرغبات ٠٠ بلا وازع ٠٠ مانحة بلا حساب ٠٠ بلا تبذل ٠ لا يبدو انها بغى » ٠

ـ كل امرأة هى جميلة ٠

انتفض :

ـ لا ٠ لسن جميعا ٠٠ انها ليست جميلة ٠٠ انها رتيبة .. مملة .. خالدة العاطفة ازليتها ٠٠ لا جديد فيها ٠٠ عادية ٠٠ بدون جمال ٠

ـ اية امرأة هذه ؟.

نظر فى عينيها ٠ شفتاها رقيقتان ٠ جدا ٠ اسنانها بيضاء دقيقة ، حسنة الرصف ٠٠ « ليست الشفاه الرقيقات هن الافتن ولا الاشد اغراء ٠٠ وليست حتى الاسنان البيضاء النضيدة كما لو صنعت من لؤلؤ ، هن الاجمل » ٠

ـ لماذا تسألينني ؟.
انفجر ٠٠ وهدأ ٠٠

(٠٠٠ يا عيد ٠٠ اوف : ٠٠ ماذا تريد ؟ ما تأكل اليوم ؟ دعنى وشأنى ٠٠ انك فظيع ٠٠ لا ترتوى يا عيد ٠٠ كل يوم ٠٠ هكذا ٠٠) ٠

« بل جامدة ٠٠ بلا حس ٠٠ بلا حرارة ٠٠ قالب ثلج ٠٠ مثل دابة .. مرغمة .. بدون تجاوب » ٠

ـ اهى المرأة الزوجة ؟ ٠
ـ ايها النادل ٠ هات شرابا ٠٠ مثل الأول ٠٠ وسجائر ٠٠ اية سجائر٠

* * *

مالت اليه ، غرزت فى باطن راحته ، أظافرها ٠٠ اوجعته ٠٠ ودغدغته ٠٠ وهدأت من حنقه ٠ قبل خدها ٠٠ عطرها وبشرتها وحرارتها وتنهدها ٠٠ كل هذا احس به دفعة واحدة ٠٠ وشاهد الحجرة تنغلق ، وينطفىء فيها النور ٠٠ وتبدو الهالتان المغريتان حول عينيها ٠٠ ويتحرك فيه السكون ، ويتقلقل الجماد ٠٠ ويفور الدم ٠٠٠ ويتفجر الرجل .. ويحيا ٠٠ كما لم يحى من قبل ..

تناهى اليه ، من صوتها ، ما اخرجه من تيه احلامه :
ـ انى شربت كثيرا ٠
تلفظت الكلمات ، باسترخاء ، ودلال ٠ فكر :
« تغنج الانثى ولو بلغت من العمر عتيا ٠٠ بل ولو كانت مومسا » ٠
ـ اشربى ما شئت ، حتى ينضب ما فى البار ٠
ـ انا اعمل ٠٠ والشراب يضر بعملى ٠
ـ تعملين ؟٠
ـ نعم ٠٠ الحياة بدون عمل ٠٠ لا طعم لها ٠٠ غدا صباحا انهض مبكرة ٠
ـ ظننتك ٠٠
واجهته سائلة :
ـ ظننتنى ٠٠٠ ماذا ؟ قل ٠٠ ماذا ؟ ٠

ـ لا شيء ..

ران صمت .. وقالت بعدئذ :

ـ لعلك خدعت ، بل لعلك أصبت .. ومع كل هذا .. انا ربة بيت

« ثوبها الاسود .. لارمل طروب .. يلفها كما تلف القشرة الرقيقة ، حية ملساء ، .. صدرها متفجر .. تقاطيعها مغرية .. كمال جمالى . عيناهـا متعبتان ، كأنهما عبتا من آخر الليل كل سهراته.. بلغت السن البلزاكية.. بل لعلها حطت فى الاربعين » .

وسمعها تقول :

ـ المرأة يجب ان تظل فى بيتها .. بل مضطرة ان تخرج من بيتها .. الاطفال .. واقساط المدرسة .. وغذاء الاولاد .. وثيـابهم .. والادويـة والطبيب .. وما ذنب الابناء .. ؟ بل اجرة المسكن .. وحساب البقال .. والعبء على المرأة .. انها يجب ان تحفظ كرامتها ... انها يجب الا تنحط .. تحب ولا تتبذل .. تطعم خبزها بعرق جبينها .. تأكل بثدييها .. بلحمها .. المرأة يجب الا تقبل بهذا .. المرأة الام .. بلا معيل .. يجب ان تطعم اطفالها حتى ولو بثدييها ...

* * *

وداخ ، لعل الخمرة عملتها معه .. بعد خامسة الكؤوس ..

(... المدرسة يا عيد .. والكتب .. حذاء الولد يا عيد . وتلك بلا معطف وصارت صبية .. والامطار تكاثرت والبيت وقسط التلفزيون .. ليس غير الاولاد هم ، وانت لاتفكر الا بنفسك ... وتضطرنى معك .. وانا اكره هذا .. اسرع .. اذن .. اوف ...)

« بلا حرارة .. باكية .. تلك الحيوانة البهيم .. كراهبة مرغمة »

اخرجته مـن دوامته :

ـ بدون نقود .. لاشيء .. لا علم .. لا تربية .. لا بقاء .. لا شيء مطلقا . امرأة أرمل .. لم يترك شيئا .. الحرة مـومس .. متسكعـة ارصفـة .. الشريفة .. تعمل « تروتوار » .. والاطفال .. ما جريمة الاطفال ؟؟!!..

الهالتان الزرقاوان ، اسودتا حول عينيها ٠٠ وسقاها الاسى قطرات ٠ وفى جسده خمدت الحمى ومات فائر الدماء ٠٠ ونادى النادل :

ــ الى بالحساب ٠

النور شحيح ٠٠ والموسيقى انقطعت ٠٠ وانسام ملؤها انفاس موبوءة تجوس فى المكان ٠ ابتعد بكتفه عن كتفها ٠

« لعلها فى الاربعين ٠٠ وثدياها متهدلان ٠٠ ارضعت صغارا٠٠وكبارا٠٠ وعليها ان ترضع الى ما شاء الله » ٠

وبدا له وجهها ٠ مكتئبا مهموما ٠

(٠٠٠ يا عيد٠٠انك حقا بهيم٠٠ألف مرة قلت لك أنا لا أحب هذا٠٠انى تعبة ٠٠ عجل .. هيا ٠٠ سانام .. اوف ٠٠٠) ٠

* * *

خرجا ٠٠ وشمطاء بجانبه ٠ وجهها صغير ٠٠ مطوى الرواء ٠ وعيناها محفورتان ٠ وجسدها مرضوض ٠

كانت كوبا كابانا ، ما تزال ساهرة ، تعاقر الليلة بشغف وحمية ٠٠٠ والليل فيها يطول ، حتى ليدرك النهار ٠٠ وما يزال نابضا بالحياة ٠٠

ودعها ٠٠ وغادرها فى الطريق ومضى الى بيته ٠

ى٠ خ٠

(بيـروت)

زوجك المنصور قد اضحى مهانا

خواطر : عبد الحكيم الاربد الطرابلسي

رحل منصور الى فرنسا واقام للعمل بباريس فبعثت اليه مبروكة زوجته تسر اليه خوفها من أن ينساها فى « مدينة النور » « وقبلة العزاب » فرد :

★★★

شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا ثَوْبًا بَدَا شِبْرًا قَصِيرَا
وَتَبَدَّى النَّهْدُ حُرًّا بَعْدَ أَنْ كَانَ حَسِيرَا
فِي قَمِيصٍ إنْ أَرَدْنَا وَصْفَهُ قُلْنَا أَثِيرَا
تَضَعُ السَّاقَ عَلَى السَّاقِ وَتَسْتَلْقِي غُرُورَا
وَسْطَ مَقْهًى صِيتُهُ فِي الحَيِّ ذَائِعْ
تِلْكَ بَارِيسٌ بَدَتْ فِي كُلِ شَارِعْ

* * *

يَا إلاَهِي
ذَوَّبَتْنِي بَسْمَةٌ فَوْقَ الشِّفَاهِ
أُرْسِلَتْ مِنْ خَلْفِ بِلَّوْرِ المَقَاهِي
عِنْدَمَا فُوجِئْتُ أَرْنُو لِلْمَلاَهِي
بَسمَةُ الإشْفَاقِ مِنْ أَهْلِ الشَّوَارِعْ
لِحَقِيرٍ دَأْبُهُ مَسْحُ الشَّوَارِعْ

لاَ تَخَافِي
فَأَنَا – مَبْرُوكَ – مَسَّاحُ الشَّوَارِعْ
تَافِهُ الهِنْدَامِ مَفْلُولُ الأَصَابِعْ
رِيشَةٌ فِي الغَرْبِ يَامَبْرُوكَ ضَائِعْ
فَمَتَى يَعْشَقُ مَسَّاحُ الشَّوَارِعْ ؟
وَمَتَى يُعْشَقُ مَسَّاحُ الشَّوَارِعْ ؟

***

زَوْجُكِ المَنْصُورُ قَدْ أَضْحَى مُهَانَا
لم يَعُدْ ذاكَ الذي تدرين في أبهى قُرانا
يَعْزِفُ النَّايَ وَيَسْتَهْوِي الحِسَانَا
كَانَ يُغْرِي كَانَ يَهْوَى إِيهِ كَانَا
قَدْ هَوَى مَنْ كَانَ بالأَمْسِ المُصَارِعْ
زَوْجُكِ المِغْوَارُ مَسَّاحُ الشَّوَارِعْ

* * *

وَإِذَا مَا هَاجَمَتْ قَصْدِيرَنَا رِيحُ الشَّمَالِ
وَنَفَخْتُ النُّورَ فِي شَمْعٍ تَدَاعَى لِلْهُزَالِ
تَنْطَفِي بَارِيسُ فِي أُفْقِ خَيَالِي
وَأَرَى الشَّمْسَ عَلَى هَامِ الجِبَالِ
وَأَرَانِي رَاعِيًا بَيْنَ المَزَارِعْ
أَنْفُخُ النَّايَ وَأَرْنُو لِلْمَرَابِعْ

* * *

بُرْهة مِن بَعْدُ يُصْحِينِي الفِرَاشْ
فَإِذَا الجِسْم عُطَاسٌ وَارْتِعَاشْ

لُعِنَتْ بَارِيسُ مَا يُجْدِي النَّقَّاشْ
بَلَدُ النُّورِ أَنَا فِيهِ الفَرَّاشْ
رَمْلَةٌ فِي فَلَكٍ حَيْرَانَ ضَائِعْ
بَلْ أَنَا - مَبْرُوكَ - مَسَّاحُ الشَّوَارِعْ

* * *

فَأَرَى الأَوْسَاخَ فِي كُلِّ رَصِيفْ
وَأَرَى الثَّلْجَ وَأَوْرَاقَ الخَرِيفْ
تَتَدَاعَى قُرْبَ أَفْوَاهِ الكَنِيفْ
وَأَرَى الحَسْنَاءَ فِي قَدٍّ نَحِيفْ
ظَالِمٍ فِي زِيِّهِ الوَضَّاحِ ضَائِعْ
وَأَرَانِي مَاسِحًا زِبْلَ الشَّوَارِعْ

* * *

فَكَفَى - مَبْرُوكَ - خَوْفًا وَعِتَابًا
لَيْتَنِي فِي مَغْرِبِي كُنْتُ تُرَابًا
عُمْرَهُمْ مَا احْتَقَرَ النَّاسُ التُّرَابَا
لَيْتَ بَارِيسَ اخْتَفَتْ كَانَتْ سَرَابَا
لَيْتَ مَا كُنَّا وَلاَ كَانَتْ شَوَارِعْ
لَيْتَ كُلَّ الأَرْضِ مَا زَالَتْ مَزَارِعْ

ع. أ. ط.

باريس في 1971/11/21

كلمات منثورة

بقلم : البشير المجدوب

ثمة أشياء بسيطة ·· هنات صغيرة تافهة تنم عن جوهر خلق المرء ومعدنه الاصيل مهما بدا عليه من سيماء الادب والفضيلة وبلغ حظه من العلم والجاه والسلطان ···

فقد يرى فى هيئة عادية لا حرج منها أو تبدر منه حركة ضئيلة عابرة لا يؤبه لها ولكنها لمحة دالة ·· ثغرة بليغة تكشف عن ضعف مروءته ومدى أنانيته واستخفافه بالناس ·

* * *

الايقاع الى الكلام كالعصب الى الجسد يشده شدا ويهبه الحركة والحيـاة ·

من هنا كان « للوزن » فى النثر الرفيـع من قـوة « الاقنـاع » نظير ما للمعنى من عمق ومدى وتأثير ·

* * *

صباح شتوى ! أشجار عارية جرداء لم يبـق بهـا إلا وريقـات مرتجفة كأنها طيور خفاقة الاجنحة ترفرف فى مهب الريح ·

* * *

نفوس مظلمة لا تنى تبذر السوء من حولها دسـا وفتكـا تروم وجاهة وارتفاعا فاذا هى تزداد تفاهة وخمولا ·

* * *

مأساة الفنان يبدع الجمال ويحرم نعمة الالتذاذ به والنفـاذ الى كنهه كشأنه مع آثار غيره ·

فلا هو ينفعل به الى غاية الانتشاء ٠٠ طربا مستجدا منبعثا الى غير نهاية ٠ ولا هو يستطيع أن يحيط بحقيقته ويقيسه قياس الدقة والتجرد فيضعه مكانه فى سلم الفن ٠

وهكذا يبقى بين بين ، غريبا عن أثره قريبا منه ، منجذبا اليه منكرا إياه ، لم يظفر بلذة الانجاب حتى منى بالعقوق والجحود ٠

* * *

ليس الانسان بما فيه من استعداد ومواهب وذكاء ٠٠٠

إنما قيمته رأيه فى نفسه والحكم عليها حكما هو بمثابة الحافز لكيانه أجمع والوجهة الحاسمة لمصيره ٠ فاما أن يصنع برأيه المستحيل أو يهدم ذاته هدما ويتردى فى هوة العجز والخمول ٠

* * *

ليتك تستطيع ، مع اعتزازك بجنسيتك وإيثارك البالغ الشديد لوطنك ، أن تتجرد منهما كبحا وإلجاما ٠٠ تناسيا وذهولا حتى لكأنك الغريب الدخيل بين عشيرتك وإخوانك ٠!

* * *

كان الموج متدافعا متوثبا فى عتمة الشاطىء ثعابين ثائرة ٠٠ شفاه ظامئة الوصال ٠

* * *

بعض المصائب كالجرح المزمن الخبيث يلتئم ويندمل فيستراح منه وينسى ، ونوقن بالعافية والسلامة دهرا ولكن هيهات ! إن الدمل لا يزال معنا ، حيا ينبض فى الخفاء ٠٠ جرثومة متوالدة تسمم الكيان وتهدد بالنكسة فى كل حين ٠

* * *

قد يكتب الاديب العديد من المؤلفات وينظم العشرات من القصائد ولكنه يشعر فى كل مرة ، عند بدء كل عمل جديد أمام

صفحته البيضاء بنفس الشوق والتطلع ·· نفس التساؤل والحيرة حتى كأنه فى أول عهده بالكتابة ···

شأن أولئك الشيوخ الذين لم ينل الشيب من نضارة قلـوبهم ووقدة إحساسهم لا يزالون يهفون الى الجمال ويواجهون الحب بمثل حرقة الفتيان واندفاعهم ·

* * *

ما الحياة ـ بالنظر الى ما فينا من قوى هائلة سجينـة وأشـواق لاهفة ظمآى ـ إلا فرصة جميلة ضائعة ·

* * *

شعور غريب انتابنى الساعة وأنا أعنف ولدى ·
أحسست فجأة كأنى أوسعه ضربا ولكما وقد انقلبت الكلمات عصا أو حجارة وتملكنى الوحش الدهرى الكامن فى أعماقى ·

* * *

جل ما تتعامل به عقولنا وتتـداوله ألسنتنـا وأقلامنـا معـان منقوصة مفاهيم جزئية فتات حقائق وشظايـا نجهـد فى تلفيقهـا وترتيبها ··· شأن صانع الفسيفساء لا يفتأ يجمع مـواد لوحتـه قطعة قطعة فاذا هو لا يحصل ، بعد الجهد والمكابدة ، إلا على صورة مبهمة ضبابية من الواقع ·

كذا لا تتراءى لنا الحقيقة ولا نتمثل أطيافها المتعـددة المتضاربة إلا عن طريق أنصاف الحقائق والكسور ·

* * *

ما أكثر ما يبدد الانسان قواه ويفنيها ويمسخ كيانه مسخا فى بحثه المتعنت المجنون عن لا شىء ·

* * *

كيف تهرب من نفسك وهى ألزم لك من ظلك وأقرب إليك من جسدك وأولى بك من أبيك وأمك ! ؟

* * *

أنا ونفسي راكب ومطية .. حينا هي أسلس ما تكون . تمام الوفاق بيننا والوئام . وأحيانا تجمح وتتمرد ، وتنعكس الحال فاذا هي الفارس المجنون وأنا المطية ، يكاد عسفا وإرهاقا يلقى بها الى الهوة .. أو القارب المخذول يجرفه التيار الى غير غاية .. مجرد قطعة لوح .. هنة صغيرة لا عزم لها ولا قوة .. أشلاء ميتة حية .

★ ★ ★

شرط التوازن والرشاقة في الجملة إحكام التنفس .. شأن كل رياضة وكل رقص رفيع .

★ ★ ★

أشد من الخوف الخوف منه .

★ ★ ★

إنما الكاتب الاصيل من يكتب « ليحيا » وليس يحيا ليكتب . فالحياة فوق الفن وإلا فهو الغبن والافلاس والخسران .

★ ★ ★

تلك الصفات خصصتنا بها دون غيرنا .. سمة مميزة نعتز بها .. لشد ما نألم منها ونشقى .. غرباء نتجرع الشبهة والريبة وسط الجماعة .. أدعياء معزولون كأن قد أثمنا في حقها وهتكنا حرمتها وأصبحت الاصالة عيبا ووصمة .

★ ★ ★

أوراق .. أوراق .. أوراق الكتب .. أوراق التلاميذ .. أوراق المذكرات .. مخدرون لا نحس بمرور الزمن .. معزولون عن الناس .. عن أنفسنا .. كأننا في غمرة أو شبه غيبوبة نعدم فيها لباب الوجود .

★ ★ ★

ما السعادة إلا الرغبة الشديدة فيها وما الحب إلا الشوق الظامىء إليه .

★ ★ ★

ليس الأدب مجرد وحي يوحى ..

إنه ، الى ذلك ، صناعة وأسلوب. تماما كصناعة النحات لا يزال يكيف المرمر صقلا وتهذيبا ، كادحا جاهدا الى منتهى الحسن صفاء وبساطة ...

أو كأسلوب لاعب الشطرنج يـرسم الخطط ويهيىء العـدة .. يصمد للمصاعب فى صبر وأناة ويذللها ـ كأن قد خبرها بعـد ـ فى كياسة ودهاء .

* * *

تباركت الغربة على ما فيها من ضيق وقلق وأسى وتمزق !

لولاها لما عرفنا بعضا من حقيقة أنفسنا ومكـان أوطاننـا منـا ومدى تأصل البشرية فينا .

* * *

رئة الحياة الامل .

* * *

فى الصلاة معان من الأبوة والأمومة . فيها الـرحمة والطمأنينة وفيها العزم والقوة .. منتهى القوة تحديا وانطلاقا . فيها الانس والارتياح وفيها المهابة والخشوع والرهبة والجلال .

* * *

« من لى بالكلمة الصادقة الأمينة تحتفظ بنضرتها الاولى ورونقها الأصيل أياما وأياما .. جيلا بعد جيل ، بل تزداد تألقا وبهاء .. تمكنا ورسوخا ، كما لو كانت تنهل من نبـع الـزمن لا انقطـاع لجـوده !

صيحة تدوى فى أعماق الكاتب تتردد حينا بعد حين ، إشفاقا من فتنة الكلمة وإفلاس الجهد ، وظمأ الى الكمال والخلود .

* * *

أنا « أحلم » .. أنا إذن موجود .

* * *

ما من حال إلا والفكر يغلو فى توهمها يحرف الحقيقة سلبا وإيجابا ٠٠ إلا العجز والحرمان فانهما أبغض فى الواقع منهما فى الخيال ٠

* * *

ما أنبل الشعار أن تجعل من الأمل دينا ومن الثقة بالنفس إيمانا !

« إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » ٠

* * *

منع الأديب من الكتابة فى يومه عن يومه ٠٠ فكتب لغده ولكل زمان ٠٠٠

* * *

ما أشبه الأفكار ، عند بروزها ، بالفقاقيع تطفو على وجه الماء لحظات ثم تغيب ، لا جذور لها فى الظاهر ولا فروع ٠٠ نباتا عفويا ٠٠ كيانا مسطحا ٠٠ ذبذبة بسيطة لا تكاد تسمو عن أفق الذهن ٠٠٠

وما أشبه العاطفة والشعور ــ خاصة فى حال الحدة والضرام ــ بالفوارة تنبجس فيضا وهاجا ، عمودا فارع الطول يهفو وينداح وينتشر حتى يملأ فضاء النفس ٠٠ أو الاعصار الأهوج ينبعث من أعماق البحر دوامة تعلو وتسفل لا تستقر ٠٠ زلزالا يرج الكيان يكاد يهده هدا ٠

* * *

الانسان كائن ينظر الى ذاته لا ينى يرقبها ويتجسس عليها فهو هو السجن وهو السجين والسجان ٠

ب٠ م٠

حلم رجل ظهره الى الحائط

شعر : محمد أحمد القابسي

أبدأ بالشعر الفاجع
أعلقه انتهاكا على جيدك ،
وبالمباح الحاضر ،
والممنوع الضائع

المنساب على ابوابك ،
وبكل البسطاء الشاربين وهمى ووهمك ،
الداخلين معى غابات حزنى ،
فى اللحظة الحاكية عن انحسار شتاء العام بالأوجاع

وعن الحب المطرود من سياجك :

وأنا أحبهم ،
وأقسم عشقى فى أحلامهم ،
وأفتح وجهى لهم
واتركك تنتظرين خيلى
تموتين شهوة ،
تلبسينها قناعا أمام الليل القادم
لن تأتى الخيل أيتها العاتيه فلا تنتظرى .

* * *

يحلم الرجل الذى ظهره الى الحائط
بالشعراء يخلعون جلود الثعابين ،
ويمتطون صهوة العسعس

الحائط البارد

ويلقون بالبنادير فى الصناديق

وبالصناديق فى النهر
وبالحرس الداخلين ، الخارجين ،

الباصقين على وجهك ،
الباصقين على وجهى .

وبالنائمين على أرائك الرياش
واللحم الطرى والغلمان المرد !
....

يحلم الرجل الذى تبصقون على الوجه ،
بالشعـراء
والأمـراء
وبمطر الدم يهطل ، يهطل
على حدائق الفقراء .
وبالرعاة يركبون العطش الطافح كل العمر ،

يتيممون بنهدى مولاتى
يصلون على الجسد السجاده

ويتوغلون فيها !.. حتى انبلاج الفجر :
فمن منكم يقف بين النوافذ

فى مجرى هواء
ويقول للزمن الحرباء

للداخلين فيه ، اليه ... « لا »
وللوافد ؟

★ ★ ★

هـا أنـا :
أنفرد بالسرج وامتطيك أيها الحلم فى الارض البعيدة
تحملنى جياد الزمن الأمل
تثخننى جراحات « الهكسوس » القديمه !

أيها الحلم لا تسلخنى
قد أضعت ذاكرتى
فانشر ذاكرتك
....
لم أعد أفهم لغة الريح
لم أعد أفهم لغة الريح
فامنحينى أيتها المياه الميته

الحائط
التاريخ

ذاكرة جديدة !

م. أ. ف.

حشرجة الصمت

إعداد : عبد القادر الدردورى

« ولما كنت لا أستطيع أن أكون عاشقا
فقد اعتزمت أن أكون نـذلا »
شكسبير على لسان الدوق قلوستر

1 ـ الأرجـوحـة :

كانت الأنغام تتهادى الى أذنيك ثملة بآلام «بيتهوفن» ، فتغوص فى قلبك وتندس ـ اندساسا جهنميا ـ بين خلاياك وأعصابك لتفرز ما بقى فيك من دموع ٠٠٠ فكأنك تنوح أو تئن مع هذه السنفونية التاسعة التى يبكى فيها بيتهوفن حياته وسمعه وفنه٠انها سنفونية الألم ، والنهاية ، تنسيك ذاتك لتعمق فيك « الحلم بالماضى ـ الحاضر » ٠٠ ما أحلى أن تغمض عينيك فى لحظة الشرود ، ما أحلى أن تذوب وتتوقف حركة الكرة الأرضية ٠٠ عند هذه البقعة البنفسجية من حياتك ٠٠ ولكن الأشباح ٠٠ الأشباح السود تشوش عليك لحظاتك المنعشة ٠٠ الأشباح ٠٠ الأشباح تشدك ٠٠ تديرك ٠٠ تهزك توقظك ، فتمد يدك بانفعال لتسكت « الفونوغراف » العجوز ٠٠ تريك تراثك ، ويكون الصمت الصخرى البارد ٠٠ ثم ٠٠ تلملم ما بقى فيك من أعصاب وقوى وتتثاقل لتخرج من غرفتك الضيقة بأعلى سطح العمارة٠٠٠تقف بالشرفة ، تتكىء بمرفقيك على الحديد الحاجز ، حيث يكون الشارع الطويل تحتك يكتض بالمارة ، بينما السماء ، فوقك ، غبراء قاتمة ، تصفع صلعتك الجدباء القاحلة المفلطحة ، وترش عليها شيئا من رذاذها ذلك الرذاذ الذى أحيا الأرض بعد موتها وأنبت فيها رزقها وخيراتها ، لكنه عجز أن يحيى فيك ميت الشعر والشعور ٠

وتنظر ـ باحثا ـ هنا وهناك ٠٠ تحدق ٠٠ لا ٠٠ انها ليست هناك .. أبدا لن تكون هناك ٠٠٠ ليلاك يا « ملوح » القرن العشرين فى الأرض ، تبحث وتسعى ، تأمل وتتألم ٠٠ تعشق وتشقى ، وأنت هناك ساكت ، ساهم ، سائح

وسيجارة عذراء مسكينة،مصلوبة بين شفتيك الصامتتين الجافتين،الباردتين المحروقتين ٠٠ بينما عيناك تثبتان على كل منظر تقعان عليه ولا تنتقلان الى غيره الا بعد لحظات عابسة من القلق والغثيان ٠

تمد يدك الى جيب سترتك الدافىء،ثم تخرج منه علبة الوقيد٠تدير العلبة فى يدك بطريقة عفوية فتسمع ايقاعا ــ تراءى لك ــ جميلا ، يتردد صداه فى كهف نفس ذاوية ضائعة ٠ ويتنوع الايقاع بين الرتابة والسرعة فيتبعه تنوع فى حركات رأسك ، فكأنك درويش او سكران وما هزك وجد ولا لعبت بك خمرة ، لكنه الخواء والتيه ٠٠٠

عيناك تتسمران لحظة فى السحب المتراكضة المتناطحة ٠٠ تنسلب ٠٠ تذوب فتغرق فى السرحان والتأمل ٠٠ ثم ٠٠ تنزع السيجارة من بين شفتيك لتنفلت نفخة مكبوتة من صدرك الهائج الهامد تعقبها حركة رأسية منفعلة يرافقها تشنج قسمات وجهك واغماض عينيك : (أف لهذه الحياة اللعينة) وتضرب بقبضة يدك المتقلصة حديد شرفتك الحاجز : (كل العذابات تهون أمام عذاب النفس ــ ٠٠ سحقا للحياة ٠٠ سحقا لهم) ٠٠ ثم تهدأ قليلا ٠٠ تقدح عود الوقيد ٠٠ تنظر الى التهابه ٠٠ تنظر ٠٠ تنظر ٠٠ ناره تضطرب وتتوهج ٠ ثم شيئا فشيئا تأخذ النار فى الذبول فالانطفاء فالتفحم ، ألم يكن هذا العود ــ قبلئذ ــ جميلا ومستقيما ؟٠٠ ها هو الآن بين اصبعيك كتلة فحمية لا تصلح الا لاضافة الأوساخ للمدينة ٠ كم أنت تشبه عود الوقيد ؟ (كنت فى حقة العدم هانئا فاذا بى أخرج ــ غصبا عنى ــ الى هواء الحياة ٠٠ أشعلت ٠٠ توهج نورى وتعاظم ولكنه الآن يذوى عائدا الى مغاور العدم ٠٠ ما اتفه الحياة !) ٠

وتعود الى سيجارتك لتقتض بكارتها وتمتص أنفاسها ببطء وهدوء : « كم هو مؤلم ومضحك أن تصبح السيارة بديلا عن المرأة ٠ هه ٠٠ المرأة ؟ » ٠

* * *

ــ تنتظرك مفاجأة سارة فى عيد ميلادك ٠

ــ حقا ؟

ــ ألست حبيبتى ؟!

ــ اذن ستشترى لى عقد الجوهر ؟

ــ عقد جوهر ؟٠ اقتربى منى ٠ ارفعى رأسك٠هذا هو جيدك ، أغار عليه من الجوهر ٠ دعى ثغرى يرصع لك عقدا من حبات الروح والقلب ٠ ما أحلى عقد القبــل ٠

ــ ٠٠٠٠٠٠

انتفضت. ثارت. هربت. انها لا تريد الاستماع الى اسطوانة مجروحة. ملت من الاعادة والتكرار . حتى زوجتك لم تعد تتفاعل مع عقد قبلك . عقد الجوهر يباع عند الأزمات وعقد القبل لا يباع . حرام . ممنوع . القانون بالمرصاد لبائعي « عقد القبل »

* * *

ثم تتكىء من جديد على حديد شرفتك وتذوب فى أحلامك وهواجسك. كان على هذه القلوب أن لاتشع الأحاسيس فى الأجسام الطرية الرقيقة.. كان لها أن تكون حديدا أو صخرا فى طفولة دائمة .. تكون كذلك أو لا تكون أى شىء .. « كيف أرضى بهذا ؟ أعيش حقبة من الزمن متمرغا فى النعيم والهناء .. ثم ...

لا .. لا .. لا ... »

الوقـوف ممنوع × الكلام ممنوع } = ممنـــــوع × مكســـــور
الانسجـــــام × النظـــــام

.. لكنك واقف جالس أوجالس واقف .. عيناك مفتوحتان متسعتان .. وأنت يتداولك زفير وشهيق ... أنت الصامت المنسجم .. أنت الممنوع والموقوف والمقنن تقسم لتصبح مانعا ممنوعا ، كاسرا مكسورا ، فاذا النهار عندك فضيحة تميت الأحلام وتقتل الطمأنينة .. انه تكشيرة طويلة لأمان كاذبة ... انه وجه من وجوه التيه الظامىء المرعب. انه قبضة قوية تنزل على القلب فتحيله رمادا تذروه رياح الموت ، بينما الليل حبيب منشود ينزل على الدنيا فيلفها بالحنان والتطلع والأحلام ،، انه مرفأ التائهين والقديسين ،، فيـه يتطهـر المذنبون من خطاياهم ،، وفى صدره العميق الصامت يريح المتعبون رؤوسهم الثقيلة ... انه أغنية النفس ... أغنية لا يفهمها التافهون المعاندون المكابرون ... انه « الأنا » الحالمة فى دوحة العواطف ونغمة آسرة فى سنفونية الحياة

* * *

قال يهودى لآخر :

ـ أسمعت ؟ بريطو مات !

ـ بريطـــو ؟ ...

ـ التاجر الكبير ،، صاحب الملايين الكبيرة ...

ـ مات ، أو مات مات ؟
ـ وهل بينهما فرق ؟
ـ نعم يا سيدى .....
ـ اللهم زدنا علما ،،
ـ مات معناها فارق الحياة ، ومات مات معناها أصيب بالافلاس ،،
ـ لكن بريطو مات
ـ أحسن وأفضل ...

2 ـ ترجيعه :

يا أيها العالم الموبوء . أنا الملك أخاطبك . أنا الضابط العسكرى . أنا الاقطاعى . أنا الجبار . أنا ماسح الأحذية . كلكم يجب أن تستمعوا الى .. ان أنا تكلمت وجب الصمت ... يا نجوم السماء زينى جبهتى وارتعى تحت عزى وسلطانى .. خذينى اليك أيتها السماء خذينى .. أنا عظيم لم أخلق لهذه الأرض ... أنسيت خمرى وليلى ؟ أنسيت أموالى وسياراتى ؟ أنا الذى كان الناس ينتظرون اشارة منى .. همسة .. كلمة . خذينى أيتها السماء خذينى .. فكم سبحت فيك وتعالت اليك عطوراتى وأهازيجى ......

* * *

... ولكنك واقف جالس أو جالس واقف ،، تتكىء على حديد شرفتك الحاجز ... تتململ .. تغالب الدمـوع .. تشتـد بك آلامـك النفسيـة فتضطرب كدرويش تخمر فى حلقة الذكر والوجد .. ترتعش.. تسقط.. ترتعش .. تقوم .. تتقلص أعضاؤك .. تئن .. تصـرخ .. ثم يأخـذك دوار عنيف واسهال أعنف ....

* * *

... اسكتى يا قذرة فالطائرة تخرج عجلاتها لتلامس المجارى الأرضية .. الطائرة تجرى.. تلحس الأرض.. تجرى الطائرة.. تجرى.. تجرى.قفى. قفى والا يحرر لك الشرطى مخالفة لشدة السرعة..قفى..الميزانية تتضخم قفى ، ولا تهتمى بالجوع ،، ألم تعرفى أن كلبى لم يعد يجد اللحم المفروم المعلب قفى يا ملعونة ،، نام الجياع ؟ ،، قفى والا ارتفعت الضرائب وسفل الانسان ألم ينفد وقودك ؟ ،، جوعان يهزه الهزال كالمشنوق مع النسيم مائل .. ضرب واضراب وضرائب .. الضـاد والظـاء والظلمـة الظلمـاء ... السمـاء لا

تجيب؟ ماذا دهاك؟ اذن انزلى أيتها السماء الذلول الى قدمى٠٠امسحى قدمى من أدران الأرض العجوز٠٠وأنتم أيها الجبناء قربوا الى تلك الصبية الجميلة ٠٠ فمى يريد أن يضع لها وسام الاتحاد ، هه ،، عقد الجوهر ٠٠٠ ماذا ؟ تعمل بناد ليلى للتعرى ؟ وماذا يهم العالم عرى عراء يا لفقره وثراه ، يا لمجونه وتقواه ٠٠٠ كم هو جميل أن يتحول هذا العالم الى ناد ليلى يرقص الناس فيه رقصة السمكة ؟ وماذا أصنع انى أحبها وأريدها ، ولكنكم تقلقوننى بهذيانكم ٠٠ لو كنتم تعرفونها مثلى ــ لقبلتم مواطىء أقدامها ،، انى دائما آكلها بعينى ٠٠ ألفها بعينى ،، أجوس فيها بعينى ،، وهى تجبنى حتى الانسحـاق والتلاشـى أيتها السماء ،،، انزلى ، الى انزلى ٠٠ أيتها السماء ،، الـ ٠٠٠٠٠٠٠ ماء... ماء ٠٠٠ مـــــــاء ٠

* * *

٠٠ وتشعل السيجارة العاشرة من العلبة الثانية بعد أن أتيت على الأولى٠٠ ويتوالى نفخك : شهيقا وزفيرا وآهات ٠ انك غيـر متصـل بالوجـود الا بالسجائر ٠٠ تدخن ــ اذن ــ أنت موجود ٠ وتحاول أن تنسى أنك غريق ، لكن الماء الذى يملأ فمك يكرهك على الاعتراف بالواقع ،، وتجد أن عقلك أصبح « مزبلة » يكدس فيها الوهم فضلاته وقاذوراته ٠٠٠٠٠

* * *

3 ــ **الطبيب :**

المعاينة تلو المعاينة والكشف اثر الكشف والنتيجة لاشىء ٠٠ احتار فيك الطبيب وتكدر ٠٠ أخيرا قال لك : أنت سليم من الأمراض ٠

ــ ولكننى لا أنام ، وقليلا ما أشعر ،،
ــ انزل الى الشارع ،،
ــ وهل وصل بك الأمر معى حد الاهانة ؟ ،،
ــ فى الشارع حياة وحركة ،، ممارسة واحتكاك ،،
ــ يعنى أنك تدعوننى للنزول ؟ ،،
ــ النزول طريق للارتفاع ،، فاذا تعلمت كيف تنزل تتعلم كيف ترتفع ،،
ــ الأرض مقبرتى ،،
ــ ان مجرد النظر من فوق لا يحقق عملية الوصال والذوبان ،،

ـ ولكنى سعيد !

ـ بالوعى والذهن ،، تراقص حبيبتك بالوعى ٠٠ تضمها ٠٠ تلاعبها ،، تناجيها ٠٠ تقبلها ٠٠ تذيب فيها شهوتك بالوعى ! ،،

ـ لقد شبعت وما ارتحت ،،

ـ انظر ٠٠٠ انها فتاة على غاية من الفتنة والجمال هى قمر بحاله ،،

ـ لقد داس الأمريكان القمر بآلاتهم ، القمر جبال وكهوف ،،

ـ دعنا من كل ذلك ، ألا تريدها ؟ ٠٠٠

ـ ٠٠٠٠٠٠٠٠٠

ـ ٠٠ أم انك تنتظر صعودها اليك ؟

ـ لا أريد شيئا ،،

ـ بامكانك أن تغمض عينيك ،، ستنتزع عنك ثيابك ،، ستسجى ستصعد عليك الفتاة وبحركة الكترونية يقع ما يقع وبدون أى عناء منك ،، طيب ؟ وتضحك ؟ ألم أقل لك أن عقلك مزبلة يكدس فيها الوهم فضلاته ؟ ،،،

ـ يا حسرتاه على الزمن الماضى ٠٠ آه ٠٠ كانت لى مغامرات ومغامرات ٠..

* * *

كان يا ما كان فى قديم العصر وسالف الأوان ،، رجل يقال له كسرى أنو شروان ،، تصدر على العرش الفارسى حقبة من الزمان ،، ثم انحط فهوى فاستصرخ وتناوح ،، فلا الهم عزاه ولا الموت أراحه٠٠انها الكرة تدور وتدار فأتى الليل وبعده يأتى النهار ٠٠٠ ـهـــار ٠٠٠ والأزهار ٠

* * *

4 ـ رجولـــة :

يا « ديوجين » أطفىء سراجك فأنا الرجل الذى قضيت العمر عنه ، أنا هو يا « ديوجين » ٠٠ أنا أنتظرك فى برميلى٠٠٠ماذا أصنع فى البرميل؟عندما خرجت ، أنت ، للبحث وجدت برميلك خاويا فسكنته ٠٠ اوه ٠٠ الحقيقة صعبـــة المنـــال ،،

* * *

أ : ٠٠٠ وقد جاءننى احداهن الى مكتبى ولم أكن أعرفها من قبل ٠٠ تجلس قبالتى فى استحياء وتذلل ٠٠ يداها تعبثان بلاشىء ،، أهدابها تنسبل

ترف ،، ترتعش ،، تضيع قلت لها في استعلاء : « ماذا تريدين ؟ » ثم بشيء من الدلال : « تكلمي يا عزيزتي » ٠٠ وأخذت أبتسم لها لأشجعها على الكلام ،، لكنها بقيت في صمتها واستحيائها وتدللها ،، تكلمي ٠٠٠ تريدينني ؟ الوقت ضيق٠٠ طيب أنت في منزلك » ٠٠ وتضغط على شفتيها كأنها تريد قطعهما لتوقد بهما (تنور) الحديث ٠٠ وقد تهيأ لي ان حالتها تدل على تزاحم الأفكار في صدرها ،، ويقل الضغط شيئا فشيئا معلنا بداية الانفراج ٠ كالانفراج في العلاقات الدولية ،،

ب : الظاهر أن نوافذها انفتحت ٠٠٠

أ : وسال الكلام من ثغرها رضابا وشهدا وعبيرا ،،

ب : نحلـــــة ؟ ،،

أ : انها « عفاف » وهي باختصار « بطيخة مكسرة » في حلاوتها وجمالها٠

ب : قالت لك : « أريد منك ٠٠٠٠ » ثم سكتت بدلال ،،

أ : تفضلي ٠٠ أنت في بيتك ٠٠٠

ب : شكرا على حسن استقبالك وضيافتك ،،

أ : واحمر وجهها ٠٠ انسبلت أهدابها ـ من جديد ـ وأخذت تشبك أصابع يديها وتفركها وتطقطقها في حيرة واضطراب ،،

ب : ويعود ضغط الشفاه فيبدو التأزم على حركاتها ،،

أ : اقتربت منها في هيئة جعلتني أضع يدي في خصرها ،،،

ب : وتحتضنها ٠٠٠

أ : سكوتـــا ٠

ب : يدك اليمنى تلامس ذقنها ،،

أ : سكـــوتـــا ٠

ب : تداعب ذقنها ،، تضغط على ذقنها ،،

أ : ٠٠ أح ـ ٠٠ آه ٠٠ فيكون ثغرها مماسا لثغري ،، ألثمها ،، أمص٠٠

ب : حتى تصيرا شيئا واحدا ٠٠

أ : لا صلة له بالأرض ٠٠ لكنها ٠٠٠

ب : تبعدك ـ برفق ـ ثم تصلح حالتها ،، تقول لك : « المواطنون أمام مكتبك ينتظرون مقابلتك ، وقد أخذت من حقك وحقهم ··· »

أ : انتظرى ، سأقول لهم عودوا غدا أو بعد غد ، لا وجود ـ الآن ـ لأى عمل ، انتظـرى ،،

ب: وكتمت غضبك وهى تقول لك : « أستأذن · سأعود ، أنا ، غدا ،، » وخرجت وأنا فى حيرة ،، ما الذى جاء بها ثم أخرجها ؟ سيارتك الأمريكيـــة العريضة الزرقاء ؟ أناقتك الباريسية ؟ قامتك الألمانية الفارعة نعومة شعرك الانقليزى ؟ شاربك التركى الأسود المفتول الحوافى ؟

أ : أمر مثير للأعصاب ،،

* * *

5 ـ أضغـــاث :

أخاف أن لا تعود ،، أوصلتنا لنصف البئر وقطعت الحبل بنا ،، ويـــلاه ويلاه ،، أخاف والرجولة تحضر وتغيب تغيب وتحضر ،، أواه ، لو تغيب حينما يجب أن تحضر ،، السقوط من عيون الأحبة لا تفيد معه سيارات ولا شوارب ولا أموال ، ويقول العاجز يا ليتنى قضيت كل لحظات عمـرى فى ممارسـة الحب ،، الانتحار لمن غابت رجولته حتى لا تشنقه أصابع الشامتين وغمزاتهم العزلة طريق للانتحار،العزلة عزوف عن اللذة،، العزلة عزوبة··عزل وخيانة ولكنى أحب البطيخ··البطيخ المكسر المجزأ ، يقدم للجائع فى صينية فضية والوقت صيف والحرارة خانقة والنفس كالحة حالكة،، البطيخ، البطيخ، دواء للنفس ، مزيل للقلق والسمنة ،، البطيخ أشهى ثمار الجنة ، والتفاحة التـى غررت بآدم انما هى بطيخة مصغرة ،، عظيم هو البطيخ ، حلو مذاقه ومرءاه·

* * *

··· وتنتفض ،، تهتز ،، تبرق عيناك كمن عاودته الذكرى : انها عفاف ·· بطيختى المكسرة المفضلة ،، عفاف عادت الى فى الموعد المحدد ··· عفاف عادت فاستعدى يا نفس ··· هى ذى لحظاتك المشرقة ،، لا تتركى الفرصة تمر ،، ما يجود به الدهر مرة قد لا يجود به مرة أخرى ،، اللحظة التى تمر لن تعود ، والتاريخ يأكل نفسه ولا يعيدها ،، عفاف اللحظة ليست عفاف الأمس ، عفاف يا عفاف ، آه يا عفاف ،، كان فى نيتى أن تكون عودتك لى ـ الآن ـ مصدر عنجهيه وتعال ، فهيأت نفسى ·· نفختها حتى تسير فصول المسرحية كما قدرها مخرجها ·· لكن هيهات ·· هيهات ، فقـد استطعت أن تحـدى مـن كبريائى بقميصك الأحمر الفضفاض وشعرك الفاحم المترامى على كتفيك ،

وعقدك الذهبي الرقيق المتدلي بين نهديك البارزين في شيء من الاغراء والتحدى وكنت أنا معلقا بين هذين النهدين٠٠ أتسلق٠٠ أتأرجح ،، أنزلق ،، ازحف ما أحلى التمرغ في التراب ،،

ب : كبرياؤك تحركه الألوان كديك رومي ، أو ثور أسبانى ،،

أ : لسنا في فصل دراسي حتى نهتم بالتشبيهات ، المهم ، عفاف الآن تجلس أمامي٠٠ تضع رجلا على رجل ٠٠ تخرج علبة سجائر من نوع « سالم » تناولني سيجارة وتأخذ أخرى ، ثم تنظر الى ٠٠ انظر اليها ٠٠٠

ب : تقول لك : « الرجل هو الذي يشعل ٠٠ ناره شافية ،، حارقة ، لذيذة ناره برد وسلام في قلوب (العذارى) ٠ لكن نارك يا صديقي سكين يكسر البطيخ ، هه ٠٠

أ : وانتقلت من مقعدى لأجلس بجانبها ٠٠ رفعت ساقها اليمنى قليلا باصابع يديها المشتبكتين ثم تقول : « هل فكرت في ؟ »

ب : وكعادتك ٠٠ تكلفت شيئا من الجد والرزانة قلت لها : « من أنت وما هي حاجتك عندى ؟ »

أ : أنا لست من بائعات الهوى ولا من صائدات الرجال ، وانما القدر بعثرني في طريقك فأعجبت بك ،،

ـ هكذا بكل بساطة ؟

ـ لقد قذفك الله في قلبي حبا ويقينا وايمانا فذبت فيك ،،

ب : يظهر أنها تلميذة فاشلة أرادت أن تطبق فيك ما قرأته في المجلات الجنسية ؟

أ : وأنا أيضا تجاهلت تفاعلها وارتعاشها ٠ قلت لها : « شكرا على هذه العواطف النبيلة ٠ هل جئت لتصبحي موظفة جديدة بشركتنا ؟ » ٠٠ وامتقع لونها ثم أطرقت الى الارض ولم تتكلم ،، يظهر انى خدشت شعورها الرقيق بدعابتي الخشنة ،، ما كان يضرني لو تلطفت معها واتقيت الله في قلبها ٠٠ أليست هي بطيختي المفضلة ؟٠٠ ورفعت رأسها تكفيرا عن جريمتي هذه ٠٠ عيناها حمراوان دامعتان ٠٠٠

ـ ما بـك ؟

مدت يدها بسرعة ، الى عينيها تمسحهما ٠٠ ثم ألقيت يدى ـ برفق وحنان على كتفيها ، فما كان منها الا أن ارخت رأسها على زندى ٠ ما أهنأك يا زندى ٠ كان شعرها الناعم يرعشني فيتحرك في شيء غامض هياجا وفورانا،وأسند

رأسي الى رأسها ٠٠ يا ناعما انتشى رأسه وترقق قلبه وجنح ـ لحظات صامتة جميلة ، كل العالم لا يساويها ٠٠ لحظات شعرت فيها بالحيوية والتجـدد ٠٠ أرجعت شبابي وسعادتي

ب : بينما صفوف العاطلين تئن أمام بابك ، تنتظر لفتة منك تعيد اليهـا الرجاء وتربطها بالحياة ، كان كل واحد منهم يصب في الحائط الذي يتكيء عليه فقره وذله ومسكنته ،،

أ : وهل هذا وقت الحديث عنهم ؟ أنا رفعتك الى السماء على أجنحة الحب وأنت تشدني الى أرض الجائعين المشوهين ٠ على كل حال أنا ترفقت بهم

ب : فقلت لهم : عودوا غدا أو بعد غد والقسم على الله

أ : لم آمر الحاجب بطردهم رغم تشويشهم ٠

ب : بل أحكمت غلق الباب عليك ، والقسم على الله ، تشقلبت كثيـرا والقسم على الله ، ارتعشت والقسم على الله ٠٠ على الله ٠٠ على الله ،،

أ : أليست عفاف عندي ؟ ألست جائعا مثلهم ؟ والله رزقني بكسيـرة اشتغلت بأكلها وسيرزقهم الله ، وما من دابة الا على الله رزقها ٠ انه الرزاق الوهاب ٠٠٠

* * *

ـ ماذا تريدين يا عفاف ؟

ـ أريدك ٠٠ أح ٠٠٠ أريدك أنت

أريد٠٠ياسلام٠٠ياسلام٠٠كانت كأنها تنحت حروف أريدك من أعصابها وذوب روحها ورحيق عواطفها٠٠٠ أريدك٠٠٠ بالشهيق والزفير،، بالانفتاح والانغلاق٠٠ أريدك٠٠ أنت أريدك حتى الموت٠٠ أنت يا بطيختي المفضلة٠٠ أريدك وأنا الجائع العطشان يا عاطفة مشبوبة شابة ،، أنت يا أنت يا لقاء حارا بلا موعد ٠٠ يا جرحا في قلبي ينز بهجة ووجـدا ٠ يـا أنت يـا عفـاف ٠٠. تضحكين ٠٠٠ تضحكين ؟ ٠ أنا صاحب الشركة أولا يحق لي التصابي ؟

* * *

6 ـ ستـربتيـز :

٠٠ وأغرقتني في حضنها بكل هياج وشهوة ٠٠٠ شعور لا اسم له ٠٠٠ احساس٠٠٠ ماذا أقول ؟ لا أدري إلا أني أصبحت مكهربا ٠٠ كل خلية من خلاياي ترف بألف معنى من معاني الحب والشهوة٠٠ حلوة عفاف والله ٠٠ وحلاوتها تبز كل وصف وتقهر قواميس الدنيا ٠٠ وامتدت يدي برعشة الى

أزرار فستانها.. واحد.. اثنان.. وبدأت معالم النهدين المحصورين تبهر العيون .. تسيل اللعاب .. ترف خلجات النفس وخلاياها .. تربك أعصابها ثلاثة.. أح .. نهدان قويان طريان ، لؤلؤتان لماعتان .. ما أحلى أن يعجر الجائع لؤلؤا.. الآن عرفت لماذا كانت الارض كروية..وعرفت لماذا كانت أمى تغنى عندما تعجن الدقيق ... فهل عرفتم سر حبى للبطيخ ؟ .. وأردت الغوص فى البحر المتماوج الصارخ المتلهف..لكنها .. أف منها .. عفاف توقفنى ؟ انها تزيد فى حرقتى .. صدها دعوة .. وتوقيفها نداء .. لكنها الشهوة .. الشهوة تعربد فى فتصرخ اللهفة ،، فكرت ،، لماذا هذا الصدار يسجن نهديها ؟ الحرية عزيزة ، يموت من أجلها المناضلون . ارتعشت بكليتى وأنا أجذب صدارها ،، هذا « السوتيان » اللعين .. جذبة أولى وخفيفة قابلتها بالممانعة اللطيفة المتدللة.. تشجعت وجذبته بقوة فتمزق..تدلى بعضه فى احتشام على شىء من نهدها الايسر بينما بقى النهد الايمن ظاهرا كالحقيقة اليقين ،، تملكنى احساس خفيف بالخوف .. نظرت اليها فضحكت فأغمضت عينيها .. اشارات لاسلكية تأمر بالهجوم .. انها ساعة الصفر ... ثم طوانا اليم ورحلنا فى عالم آخر .. أنا الغريق فما خوفى من البلل .

* * *

... ولكنك تغفل عن الجزئيات ، حشمة مصطنعة أم خشية من وضعك اللا إنسانى ؟ انها عربدة الجنس وعفرتته تنسى الواقع.. تذيب فى اللامعنى واللامعروف ـ.. أنتما الآن شيئان بلا حدود .. تنقلبان .. تدوران فاذا عفاف بين يديك شبه دائخة..عيناها مغمضتان شفتاها ذاهلتان ترفان رفا شاطحا كأنه بقية ارتعاش بدأ بصدرها وانتهى ـ ضعيفا ـ بشفتيها ، وتأخذ فى لحس ظهرها ككلب جائع لم يذق الطعام منذ أشهر.. شفتاك تصلان لحسا الى كتفيها .. ثم تبدأ عملية العض الخفيف المنعش المهيج ، وهى تشهق فيزداد فمها انفتاحا .. انها لوحة فنية رائعة متكاملة الخطوط والالوان ، تمثل لهفة الطلب الصارخة .. كنار جهنم ، هى ، تطلب هل من مزيد ؟ هل من مزيد ؟ بل هى الأبعاد كلها تجتمع فى نقطة واحدة حتى تنعدم الفروق بين الموت والحياة ، بين الايمان والحب .

* * *

(ب : وأفواه الجياع أمام الباب تطلب العمل .. تطلب الخبز المعجون بدمائها ودموعها . بحقوقها تتطيب فيسيل عطرك لعابا على جسد عفاف .. بطيختك المفضلة ، المكسرة ؟ ،،)

* * *

... وتتواصل المسيرة الحالمة.. تتواصل.. ليت الزمن توقف عند تلك اللحظة .. سيرى فى نفس الدائرة .. الخروج ممنوع .. التجاوز . ليتنى أبقى معلقا بين نهديك .. ابعد عنك الحصار .. أتعرفون لماذا خلقت الجبال ؟ أوتاد الارض ؟ تساموا يا ناس ، انها نهود الارض .. وأنا أحب الجبال .. رياضتى التسلق على الجبال ... أليست الجبال مسكنا لرب الارباب «زوس»

* * *

(ب : ولكنك أحد كلاب الشرطة .. يتشمم يبحث... يلحس... يحفر لتعقب مكان الجريمة... أرأيت ماذا صنع عندما سرقت خزينة منزلك ؟)..

* * *

... بدأت عملية الهبوط .. هبوط .. رأسى ينزل ببطء .. وتخرج الطائر عجلاتها لتلامس مجارى المطار .. الطائرة تجرى .. تجرى .. تجرى ..

ب : المجنون يحتضن الكرسى ويقبله ،،

أ : وينام رأسى على صدرها .. كانت تشهق شهيقا شبقيا صارخا ، قلبت خدى ولسانى وشفتى..كل النعم الى تراب ، ومن الأولى أن نتمتع بها ــ ونحن تراب حى ــ قبل أن يفوت الوقت ترابا ميتا يدوسنا الأحياء .. هبوا املأوا كأس المنى .. قبل أن تملأ كأس العمر كف القدر ... أسرعوا فالموت يتربص بالأحياء ... يا سلام .. يا سلام .. ويطفح العسل من القارورة أخرج لسانى لألحس العسل بكل شراهة ونهم .. كم أحب العسل .. أحبه .. أحبه ، وما زلت أذكر كيف ضربنى أبى ضربا مبرحا عندما ضبطنى ألحس العسل .. أحب العسل ، أحبه ...

* * *

.. وفجأة يوسوس لك شيطانك بغريب المواقف .. انتفضت فانتصبت واقفا وسروالك يرقص لاهثا بين ركبتيك ، بينما بقيت عفاف مطروحة على الكرسى الطويل كالبطيخة المكسرة .. ماذا دهاك ؟ ألم تكن غائبا عن الفكر والوجود ؟ ،، ألست المحترق الملهوف اللاحس المكلوب ؟ ،، قالت لك عفاف « ما بك ؟ لترقد » صرخت فيها : « قومى واصلحى حالتك .. بسرعة بسرعة » ويتقافز التوسل من عينيها وهيئتها :

ــ لكننا لم نصل بعد الى الشاطىء ؟

ــ قلت لك قومى ،،

ــ وكيف نترك الزورق يضطرب فى أعماق البحر الهائج،، انهسيتحطم؟

ــ قومى ،، أما تسمعين ؟

وتجذبها بقوة .. تستوى واقفة بعد أن توشك على الارتطام بالأرض من

قسوة الجذبة ٠٠ ثم تلتفت حولها وتأخذ فى جمع حوائجها ومزق صدارها المبعثرة ،، قلت لها والتشفى يقهقه فى حركاتك : « انتهى الكشف عنـدك مؤهلات لا بأس بها تسمح لك بأن تكونى موظفة فى أهم الادارات عند! بأى باى ، شيرى »

ب : انه العجز فى مظهر القدرة ٠

أ : انها الرجولة ،، هربت منى وأنا فى عنفوان الشهوة ،، والآن أكيل لها الصاع قفيزا حتى فى أحلك الظروف ،، والرجولة هى التحكم فى العواطف أنا رجل بيدى الحل والعقد ٠٠ أغوص وأطفو متى أردت ٠٠٠

7 ـ اهتـــزازات :

اخرجى من المدرسة ٠ ماذا تريدين ؟ الوظيفة ؟ المنزل ؟ السيارة ؟ وماذا تصنعين بهذه المدرسة ؟ أضاعة وقت ، الأجدر بـك أن تفكـرى قليـلا ، المدرسة للصعاليك الفقراء يحاولون التسلق بهـا ٠٠ هــه ٠٠ يدرسـون ويدرسون ثم الطرد لتجاوز السن القانونى وضعف النتائج ٠ انها الفرصة أمامك لن يجود لك بها الدهر مرة أخرى ٠٠ هذا مسعاى لا أقصـد به الا وجه الله ٠٠ وجه الله وحده ٠٠٠

ب : لكنهـــا ٠٠٠

أ : أف ٠ اللعنة عليك وعلى هذه الـ « لكن »

ب : لماذا لم تثبت رجولتك مع نجلاء ٠٠ نجلاء التى جريت وراءها طويـــلا طـــويـــــــ ٠٠٠٠

أ : اسكت ولا تتلفظ باسمها ،،

ب : نجلاء النحيفة الجميلة ٠ نجلاء بنت السابعة عشر ٠٠٠

أ : قلت لك اسكت

ب : نجلاء التى كنت تترقب خروجها من المدرسة كل يوم لتوصلها بسيارتك الفخمة ، الى منزلهم ، وهى الفقيرة المسكينة المحرومة ؟

أ : سأحطم رأسك ٠٠٠

ب : كانت سعادتك أن تتفرس فى ثغرها يغزل الابتسام والشكر وهى البريئة العاقلة المهذبة ؟

أ : عليك اللعنـــة ،،

ب : وتتذكر انك حملتها ـ ذات يوم أغبش ـ الى منزلك

أ : يكفى أرجوك

ب : ٠٠ ثم أخذت فى تقبيلها ـ بعنف وهى مشدوهة ، شاردة ، ذاهلة ٠٠ لم تصدق ما ترى وتسمع وتلاقى

أ : أتوسل إليك ،، رأسى ينفجر ،،

ب : وبكيت تحت قدميها وهى الحساسة الرقيقة تبكى كلما رأت باكيا ٠ وجذبت رأسها اليك :

أ : نجلاء ،، حبيبتى نجلاء ،، أحبك ٠٠٠ أحبك ٠٠٠ خذى ما تشائين ، افتحى فمك ٠ ـ ٠٠٠٠٠٠٠

أ : قولى : أحبك يا نجلاء ،، قبلينى يا نجلاء ،، أملاكى كلها بين يديك ٠٠ تحت رجليك يا نجلاء ٠٠٠

وهى صامتة ،، باردة ٠٠٠

أ : اغرب عن وجهى

ب : أولا تعرف الرجولة الا مع « البطيخ المكسر » ؟

أ : لقد كانت أنوثة نجلاء أقوى من رجولتى ،، ألم تصفعنى عندما امتدت يدى الى صدارها ؟

ب : خيل اليك أن كل الصدارات فى متناول يدك ؟ ،، هذه نجلاء وتلــك « بطيخة مكسرة »

أ : حقا ، ان نجلاء جعلتنى مجنونا متكالبا

ب : وذلك ما جعلك تنادى خادمتك الزنجية وتغتصبها ٠٠ ترتعش المسكينة تحت كلاكلـــك :

ـ سيدى ، سيدى ،، ماذا تريد ؟ ،،

ب : وتزيد فيك الشهوة وترغو :

ـ انزعى ثيابك ،،

ب : وتبكى المسكينة :

ـ سيدى ، اتق الله فى أمومتى ٠٠٠

ب : وترعد بكل قوتك ٠٠ تنفعل ٠٠ تمزق لها صدارها ٠٠ ثم تغوص فيها بكليتك مصا ولحسا وعضا ألم تنس أنك أحد كلاب الشرطة ٠٠٠

أ : ان قلبى يتفتت ٠٠ أرجوك ٠٠ رأسى ينفجر ،،

ب : وما هى الا لحظات راعشة حتى أتت زوجتك من عند الحلاقة وضبطتك فى صلاتك الشيطانية ،، تنزع زوجتك حذاءها الكاعب (كما كانت تنزع لك ملابسها) ،، وتأخذ فى ضربك على عنقك وظهرك ومؤخرتك ٠٠ والمضحك أن أليتك كانت تهتز اهتزازا فاضحا خائفا ،،

أ : لقد دخلت زوجتى البيت عندما سمعت شهيقى ٠٠ كانت تظن اننــى اصبت باختناق ، أو بضيق التنفس ،، ليتنى مت ،،

ب : من العدل أن تموت كل لحظة آلاف المرات وأنت فى هـذا السجـن الاسمنتى البارد بينما نحن نحتقرك ونبصق على أطلالك البالية ،، نحن ٠٠٠ فى سواعدنا العزم ٠٠ فى وجوهنا الخيـر ٠٠ فى نظراتنـا الطيبـة ٠٠ فى ملابسنا الخشنة رقيق العواطف ٠٠ فى قلوبنا الضاحكة الباكية صفاء الحقيقة نحن ٠٠ أوتار الحياة توقع أناشيد الحب والحرية ٠٠٠

* * *

8 ـ البـدايـة :

الناس يتساءلون ٠٠ يستجلون ما حدث ٠٠ صفارات البوليس تمـلأ الآذان وترعب القلوب ٠٠ ماذا وقع ؟ البوليس يبعد الناس المتراصين ٠٠ صاح البوليس : « انه أمر عادى » ٠٠٠ محاولة من المحاولات الوجودية لرسم حالة مأساوية ٠٠ انك أردت أن تجرب عملية النزول ولكن فات الأوان ٠٠ لقد ارتطمت بالأرض التى كنت تعافها ،،، دماؤك الحمراء السوداء توسخ بعـض البقع من الشارع وأنت منكب على الأرض ٠٠٠ تقبل الأرض ولكن الارض ترفض أن تقبلك لأنها حية ولا تقبل إلا الاحياء الذين يحبون الحياة والاحياء٠٠ ويقترب منك شرطى ٠٠ يفتش جيبك للتعرف على هويتك فيجد ورقة ٠٠ انها وصيتك لنائبك فى الادارة :

« أوصيك بأن تمزق نجلاء شر ممزق ، وتطعم زوجتى لكلابى ، واجعـل « عفاف » درة الادارة الآمرة الناهية فيها ،، وامنع صناعة « الصـدارات » والاحذية ذات الكعب العالى ،، واسجن جميع الخادمات الزنجيات ،، وعليك بابطال الزواج التقليدى وإبداله بنظام العشق الجماعى المستغل للطاقـات البشرية فيا أيها السادة الكرام لتتزوجوا ما طاب لكم من النساء ،، لتعشقوا ما لذ لكم من النساء ،، ويا ايتها السيدات الكريمات الشريفات لتسرن فى الشوارع عاريات الصدور ،، كاشفات المفاتن ،، ولتكن تحياتكن قبلة حارة تعقبها مصة خفيفة وعضة منعشة »

* * *

ضحك الشرطى وهو يقول : « انها أفكار على كل حال » ،،

٠٠ ولكن كل الامواج تتحطم على الشاطىء ،، وصفارة واحدة تكفى لتمزيق الصمت ٠٠ الصمت الجهنمى الحرام ،، حتى تصبح المعادلة أ × ب = أب ، أو : ب أ والله أعلم أولا وآخرا ،،

ع٠ د٠

مرسومات على جدار الجدب واللذة

شعر : عبد الحميد خريف

زرقـاء !٠٠٠

يا من حطمت شجيرات الورد البريه ٠٠٠
وأبحرت ،٠٠٠ داخل أعماقى الشتويه ٠٠٠
يا آخر من جاءت ٠٠٠
تبحث عن إسمى ٠٠٠ عنوانى ٠٠٠
كتاباتى المرشوشة بالأحزان !!!٠٠٠
لم تعرفى عنى ٠٠٠ سوى أنى :



يا ذات العيون الزرق ٠٠٠
يا أحلى من وجودى على هذا العالم
عصافير العشق والشوق
فارقت أغصانى ٠٠٠
قبل انتحار الشرق !٠٠
فى الخامس من حزيران
....
إن رجت فى زحمة الاعتداءات

ـ قوائمي ـ
واساقطت بصماتي على محضر
الجـرائم
وقام أبو زيد راقصا ··· على أنقاض
عـوالمي
فلتخرجوا يا عمال المناجم
بولوا في أباريق الخمر ···
وعلى دفاتر المراسم ···
....
حبال العشق ما جاءت على ساقي
أشواقي دفنتها في فم الامواج ···
من قبل أن تولد الأصوات في
أذني ··· وتدفعني الى المنفى
فمهما غزتني يا زرقاء عيناك
ومهما حفر جسدي ··· فعشقي لم
يزل وقفا على بلدي ···

ع· خ·
ـ شتاء 73 ـ

تأثير الحركة الوطنية على تطور التشريع التونسي (*)

بقلم : محمد منصور

تمهيـــد :

ليس بدعا من التشريع ان يحمل بين نصوصه معالم النهضة او التخلف في أمة من الامم وان تتسرب في مسالكه العادات التى اكتسبتها هذه الامة والانماط الاجتماعية التى تسودها والآمال التى تتمخض بها ، والمناهج التى ترسمها لتحقيق غاياتها الكبرى فى مختلف مراحلها التاريخية • إذ يمثل التشريع الصورة الاوضح لارادة الامة فى الفعل والاختيار والتخطيط والمواجهة •

لذلك كان التشريع ، المسلك الاكثر دقة فى رسم حياة الامم وضبط تاريخها ، والانفذ عمقا فى تصوير حالاتها الاجتماعية والاقتصادية والتربوية والسياسية خاصة بعد ان اصبح التشريع فى ظل النظام الحديث للدولة المعاصرة حكرا على ارادة الامة ، تعرب من خلاله عما تشاء وعما لا تشاء ازاء مختلف مناحى الحياة القومية والدولية ، مما اكسبه ديناميكية المجتمع الذى ينبثق فيه ، وتراوح النزعات التى تظهر فيه من حين لآخر ، لذلك كانت الرابطة وثيقة بين التشريع الوطنى والتحولات الاجتماعية والسياسية التى عرفها المجتمع التونسى ، ويبرز ذلك على الخصوص فيما كان للحركة الوطنية من تأثير فعال فى تبلور ارادة الامة وسعيها الاصيل الى تحقيق ذاتها وبناء كيانها القومى فى مواجهة الانحرافات الداخلية والتحديات الدولية •

ولتحقيق الدقة فى ضبط العلاقة بين هذين الجانبين من تاريخنا القومى ينبغى وضعهما فى الاطار الموضوعى ، والحضارى لهما ، فالحركة الوطنية بمفهومها الاصلاحى والسياسى الواسع التى كانت تنطلق منه لمواجهة طغيان حكم

(*) هذه دراسة القيت فى ملتقى « الذاتية التونسية والضمير قومى » الذى نظمه مركز الدراسات الاقتصادية والاجتماعية

الاطلاق فى عهد الدولة الحسينية واستبداد الاستعمار التوطينى الدخيل فى عهد الحماية ، ومظاهر التخلف الفكرى التقنى فى عهد الاستقلال طلبا لتحقيق العدالة الاجتماعية والاستثمار الكامل للموارد القومية والمواكبة الفكرية لآفاق التطور الحضارى الدولى واقرار مناهج سياسية لعمل وطنى سليم ؛ لم تستعن بالعمل التشريعى كمضمون لمطالبها وسند لتأمين مساعيها الا فى القرن التاسع عشر على الخصوص ٠

الفصل الأول : دواعى الفتور فى الحركة التشريعية :

ذلك ان المجتمع التونسى كان حينذاك :

1) مستمرئا على المستوى الاعتقادى لمناهج التشريع الاسلامى ، ومكتفيا بالمقومات الروحية والمنازع الفقهية والاصولية الشاملة فيه ، وطرائق الحكم والتنظيم للسلطتين القضائية والتنفيذية المعتمدة منه ، باعتبار انه التشريع الازلى الامثل الذى لا يأتيه الباطل من خلفه ولا من بين يديه ٠ ولم يكن يشعر قط بالحاجة الى ربط رغبته فى الاصلاح ومقاومة الطغيان بتشريع وضعى من صنع ارادته يمكن ان يغير ما بحاله او يعدل ويهىء طرائق جديدة لاصلاح وضعه ، والحال ان فى محتوى الشريعة الاسلامية بحسب ما يراه المجتمع آنذاك من ضوابط الملك الصالح والوحدة الاسلامية والعدل الاجتماعى ما يغنى عن كل تجديد ، لذلك كانت الدعوات الاصلاحية التى ظهرت آنذاك تنادى باحياء الشريعة الاسلامية ، لا بالابتداع عليها ٠ وترفض ازالة النظام الملكى وان توجهت بالانتقاد او اعلان العصيان في وجه ملك ما فقد كان البعض — على ما يروى أحمد ابن ابى الضياف فى الجزء الخامس من اتحاف اهل الزمان بالصفحة 113 — يرى أن (أن سيدنا ينظر بنور الله فما يظهر له فهو السداد والاصلاح فى نفس الامر ، فهمته العقول او لم تفهمه قياسا على الامور التعبدية الدينية التى أمر بها من له الخلق والامر ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون ٠) وباطنه لا يعتقد ذلك وشواهد حاله تكذبه ، الا انه يستر قصوره عن اقامة الدليل بهذا الملق البارد ٠

2) معتادا على نظامملوك الاطلاق ومستكينا لما تقضى به مناهجهم السياسية الطاغية ، من تعسف ظالم وقهر للارادات الفردية او الجماعية الصالحة ، اذا ما تعارضت مع رغباتهم الخاصة ، المستندة للقوة او الحلية فيما تأتى به من ظلم وجور ، يلقى سنده فيما يبثه ارباب الطرق وأدعياء الورع من فتاوى بوجوب الطاعة لاولى الامر ، والنزوع عن الفتنة التى هى اشد من القتل ٠ والرضاء بالقضاء والقدر خيره وشره ، مما يترك الاثر البليغ فى نفس الرعية ٠ ويخضد

شوكتها التلقائية الى مقاومة الطغيان ومراقبة ذوى السلطان فيما يفعلون ، حتى جبلت الرعية على التسليم بالواقع ، والفتور والتخاذل فى رد الظلم وعدم السعى الى تغيير طبيعة نظام الحكم ، وطريقة التشريع اذ لا ارادة للامة الا فيما اراده الله لها من حكم جار وملك نافذ ٠

3) منغمسا فى خضم من التفكك الاجتماعى ، والانقسام القبلى والطائفى ، والحروب الاهلية المستمرة التى كانت تغذيها عناصر التخلف الذهنى ، والعصبية الضيقة والبدائية الحضرية ٠ فلم يشعر بالمفاهيم القومية ولا بالتضامن الجماعى ولا بالكيان الوطنى ، وقد انتهبته نوازع الشقاق من كل جانب ، وركن الى اهواء الملوك ، فلم يلق سمعا الى التنظيمات السياسية المستحدثة بأروبا آنذاك ، لكل ذلك لم يحس المجتمع التونسى ، بالحاجة الى اصلاح تشريعى وضعى يؤسس هياكله السياسية ، وسلطه الاساسية العامة ، على منهج يمكن الشعب من حقه فى العدل والسلامة الاجتماعية ، والاعراب عن ارادته فى بناء مصيره القومى ، وفى تحديد اختياراته الاساسية فى التنظيم السياسى والاصلاح الاجتماعى والتخطيط الاقتصادى ، حتى كان مفتتح القرن التاسع عشر حيث استفحل تدخل الدول الاروبية فى شؤون الدول الاسلامية عموما ، لتحقيق أغراضها فى كسر شوكة هذه الدول المستضعفة سياسيا ، وجبرها على حفظ مصالح المواطنين الاجانب فيها ، واتخاذها كسوق لبيع منتوجاتها الصناعية ، واستثمار مواردها الطبيعية ، واستغلال طاقاتها البشرية ، وفتح حدودها امام التوسع العسكرى للامبراطوريات الاروبية المتدة فيما وراء البحار ، وذلك بعد ان ظهرت موجة الاكتشافات الاقتصادية والعلمية الحديثة التى قربت المسافات وطورت التقنية الالية ، وبعد ان برزت النزعات الفكرية والسياسية المتحررة من رواسب النظم الملكية فى المجتمعات الاروبية المتطورة ، وتبلورت المفاهيم الاساسية للنظم الدولية التى تسود علاقات المجتمع الدولى كالحصانة الديبلوماسية والمعاملة بالمثل وشخصية قانون المواطن الخ ٠ مما فتح آفاقا جديدة امام النخبة المسلمة ، ودعاها الى مراجعة احوالها ، وتمحيص قيمها ، بمنظار نقدى جديد كشف لها عما كان يرزح به واقعها المرير من ادواء اجتماعية وسياسية واخطاء اعتقادية لا سند لها من الشرع والعدل او التبصر ، فاتخذت للدعوة الى الاصلاح ومواجهة التخلف ، وطغيان الملكية المستبدة ، وتدخل الدول ذات الامتيازات القنصلية التى بدا يستفحل امرها بالبلاد وخاصة منها بريطانيا وفرنسا وايطاليا ، مناهج متعددة تمثلت على الخصوص فى عرائض الالتماس حينا وفى الثورة حينا آخر دون ان ينتهوا من ذلك لنتيجة تذكر ٠

لأن الامر كان يقتصر دائما على المطالبة برفع مظلمة او تحديد جباية او رد غارة ، ولا يطمح قط الى تغيير نظام الحكم ، او ضبط طرق حديثة فى تنظيم الدولة وتحديد سلطتها ، وطرائق البت والتقرير فى تكييف ميزانيتها ، وفى مواجهة المظالم الخاصة والعامة ، وفى استبيان ارادة الشعب فيما يعرض له من قضايا ، وما يلتزم به فى حقه من معاهدات ومواثيق دولية ۰

الا ان ذلك لم يحل دون تنبه النخبة الوطنية الى أهمية الاخذ بالاسباب التشريعية الوضعية واقرار الارادة الاصلاحية للشعب فى التزامات ذات طابع قانونى يصدرها الباى ويتعهد بتنفيذها وذلك تحت تأثير العوامل التالية :

الفصل الثانى : الدواعى المباشرة للاهتمام بالنشاط التشريعى

أولا : **ظهور الامتيازات القنصلية بالبلاد التونسية** : ومسارعة امرائها – قبل السلطنة العثمانية – الى منح الوافدين من الاجانب جملة من الامتيازات التى تحقق لهم الامن والسلامة ، فيما يقومون به من نشاط تجارى واقتصادى بالبلاد التونسية ، وذلك لفقدان الوازع الوطنى فى الحاكمين ، ولضمان استعانتهم بالاجانب على خصومهم السياسيين – عند الاقتضاء – بدعوى اظهار ما للاسلام من سماحة ، دون الاخذ بما يوحيه الاسلام من حيطة وحذر خاصة إزاء أطماع الدول الاروبية ، فيما زخرت به تونس من خامات نادرة ، وامكانيات اقتصادية وفيرة وتفتح حضارى اصيل ، او الاخذ بما تستدعيه خطورة هذه المواقف ، من استشارات شعبية ۰ فأبرموا مع امارة (بيتز) ، اتفاقيات سنة 1157 – 1313 – 1357 – – لضبط معاهدة سلم وتجارة ، ومع مملكة أراغوز اتفاق سنة 1314 ومع امارة جنوة جملة من المعاهدات ابرزها معاهدة سنة 1433 – ومع *امارة البندقية جملة من المعاهدات ابرزها معاهدات* سنة 1231 – 1251 – 1270 – 1305 – ومع مملكة فرنسا معاهدات سنة 1270 – 1728 – 1742 – 1761 – 1824 – 1830 – 1832 – 1861 ومع مملكة انقلترة معاهدات سنة 1862 – 1863 – 1875 وهى معاهدات (1) تقضى فى غالبيتها ، بأن القناصل يقيمون وسط مواطنيهم بالفنادق ولهم حق الرئاسة العليا عليهم ، على نحو كان القناصل معه يمارسون وظائف ضباط الحالة المدنية لمواطنيهم ، ويدافعون عن مصالحهم التجارية ، تجاه ديوان الرسوم وتجاه السلطة التونسية كما كان لهم وحدهم صلاحية النظر فى القضايا والنزاعات التى تشجر بين بنى

---

(1) تراجع محاضرة الاستاذ المدنى حول الحصانة الديبلوماسية المنشورة بكراس خاص صدر عن وزارة العدل فى 11 فيفرى 1965 ۰

جلدتهم سواء كان النزاع مدنيا او جزائيا ، اما اذا شجر خلاف بين أجنبي محالف وبين تونسي ، فان كان هذا الاخير مدعيا ، فانه يتوجه بظلامته الى القنصل ، وان كان التونسي مدعى عليه ، فصلاحية القضاء في الامر ، انما هي للحاكم التونسي وحده • وكنتيجة لذلك نمت الجاليات الاجنبية بالبلاد التونسية ، عن طريق التوسع التجاري والمهني ، واقامة بعض المؤسسات المرفقية لها ، وتزايد تسامح أمراء البلاد في منح الامتيازات لهم ، حتى لقد جاء بالمادة السادسة من الاتفاقية المبرمة بين حسين بن علي والمملكة الفرنسية سنة 1728 (ان امتيازات فرنسا يجب ان تكون اعظم من امتيازات اية دولة أخرى ولا يمكن ان يمنح اي امتياز لاية دولة الا اذا منح نظيره لفرنسا في الآونة نفسها) •

كما جاء بالمادة الحادية عشر من الاعلان الرسمي لوثيقة عهد الأمان (ان الوافدين على إيالتنا من سائر أتباع الدول لهم ان يشتروا سائر ما يملك من الدور والاجنة والارضين مثل سائر أهل البلاد) •

ولا شك أن لهذه المعاهدات والمواثيق وما كان ينجرعنهامن تصرفات السلطة الحاكمة والقناصل والاجانب في شؤون البلاد بالاستناد لمحتوى نصوصها النافذة •• أثر كبير في نفوس الوطنيين على نحو مكنهم من ادراك مدى اهمية هذه المشاريع المستحدثة فيما بين الجانبين ، ومدى تعلق الدول الاجنبية بتشاريعها الاجنبية ، وما توليه فيها لمواطنيها من حقوق وانظمة فعالة وسليمة ، مما هيأ النفوس بعدئذ للمطالبة باصلاح تشريعي يتناول أوجه الضعف والطغيان في المجتمع التونسي بالاصلاح والتنظيم •

ثانيا : **مقابلة او مواجهة كثرة التراتيب التنظيمية المستحدثة من طرف المشرع الدخيل:** لتنظيم الاختصاصات التي اقتطعها من سيادة الشعب التونسي وحريته الطبيعية ، واستأثر بها لتدعيم سياسته الاستيطانية ، وتقوية شوكة مواطنيه بالبلاد التونسية، وتركيز نشاطهم على حساب الثروة التونسية والعامل التونسي ، فعمد الى تجميع كافة السلطات الموكولة للمحاكم القنصلية بين يدي المحكمة الفرنسية ، والقضويات الصلحية المتفرعة عنها ، بمقتضى القانون الفرنسي المؤرخ في 27 مارس 1883 والنافذ المفعول بتونس بموجب الامر العلي المؤرخ في 18 أفريل 1883 ، واعتبر أن مواطني الدول الصديقة التي تحذف محاكمها القنصلية بتونس ، يرجعون بالنظر الى المحاكم الفرنسية ، على مقتضى ما يخضع اليه الفرنسيون انفسهم من الشروط والحالات ، طبق ما جاء به الفصل الوحيد من الامر العلي المؤرخ في 5 ماي 1883 ، وما ان تهافتت المحاكم القنصلية

بتحريض من رجال الكنيسة وخاصة منهم الكردينال لا فيجرى على التخلى عن صلاحيتها لفائدة المحاكم الفرنسية وانفردت هذه الاخيرة بالنظر :

1) فى جميع القضايا المدنية والتجارية التى تهم احد الاروبيين بصفته مدعيا او مدعى عليه بموجب الامر العلى المؤرخ فى 31 جويلية 1884 .

2) فى جميع القضايا الجزائية التى يرتكبها التونسيون إما ضد او بمشاركة فرنسى او أروبى او محتم بحماية فرنسا أو إحدى الدول الاروبية ، أو كان الفعل الجرمى المرتكب من طرف التونسى حاصلا باحدى قاعات المحكمة الفرنسية أو ضد أحد أعضائها ، أو بغرض تعطيل نفاذ الاحكام الصادرة عن المحاكم الفرنسية ، كما قررت ذلك فصول الامر العلى المؤرخ فى 2 سبتمبر 1882 .

كما استصدر المشرع الدخيل من الباى ، الاوامر المتتالية لتوسيع صلاحيات نظر المحاكم الفرنسية ، وتخصيصها بالنظر فى جملة من الفروع والمواضيع القانونية المختلفة ، ولو كانت النزاعات الواقعة ضمنها بين تونسيين فقط ، ولا تهم أى طرف أجنبى ، كما هو الحال بالنسبة :

-1- للأمر العلى المؤرخ فى غرة جويلية 1885 - والمتعلق بالاراضى المسجلة .
-2- وللأمر العلى المؤرخ فى 25 ديسمبر 1888 المتعلق بصكوك الاختراع .
-3- وللأمر العلى المؤرخ فى 15 جوان 1889 المتعلق بالملكية الادبية والفنية .
-4- وللأمر العلى المؤرخ فى 17 جوان 1888 المتعلق بصيانة الاسلاك البحرية .
-5- وللأمر العلى المؤرخ فى 6 جويلية 1889 المتعلق بصيانة الاسلاك التلغرافية .
-6- وللأمر العلى المؤرخ فى 11 ديسمبر 1889 المتعلق بتزوير المواد الغذائية او الطبية .
-7- وللأمر العلى المؤرخ فى 11 جويلية 1891 المتعلق بقضايا ديوان البريد .
-8- وللأمر العلى المؤرخ فى 26 نوفمبر 1864 المتعلق بتزوير الشارات المثبتة للمورد .
-9- وللأمر العلى المؤرخ فى 15 ديسمبر 1896 المتعلق بحفظ الامن بالبادية .
-10- وللأمر العلى المؤرخ فى 16 اكتوبر 1897 المتعلق بشرطة السكة الحديدية .
-11- وللأمر العلى المؤرخ فى 8 جانفى 1904 المتعلق بالمدينين لبنك الجزائر .

ـ12ـ وللأمر العلى المؤرخ فى 25 فيفرى 1911 المتعلق بحماية الصور والنماذج الصناعية .
ـ13ـ وللأمر العلى المؤرخ فى 24 جوان 1912 المتعلق بشركة الترامواى .
ـ14ـ وللأمر العلى المؤرخ فى 27 أفريل 1933 المتعلق بمسك الحمام الجوال .
ـ15ـ وللأمر العلى المؤرخ فى 10 ماى 1934 المتعلق بالرهن البحرى .
ـ16ـ وللأمر العلى المؤرخ فى 15 مارس 1921 المتعلق بحوادث الشغل .
ـ17ـ وللأمر العلى المؤرخ فى 29 جانفى 1926 المتعلق بالجرائم السياسية .
ـ18ـ وللأمر العلى المؤرخ فى 18 جويلية 1927 المتعلق بالدفاتر التجارية .
ـ19ـ وللأمر العلى المؤرخ فى 18 جويلية 1927 المتعلق بالملك التجارى .
ـ20ـ وللأمر العلى المؤرخ فى 28 فيفرى 1930 المتعلق بالشركات الخفية الاسم
ـ21ـ وللأمر العلى المؤرخ فى 5 ماى 1930 المتعلق بالشركات المحدودة المسؤولية .
ـ22ـ وللأمرين العليين المؤرخين فى 6 اوت 1936 و 28 جوان 1938 المتعلقين بالحرية العامة من صحافة واجتماع وتكوين الاحزاب والجمعيات (2) .

الأمر الذى ترك أبلغ الاثر فى نفس الشعب التونسي وهو يرى مقوماته الذاتية نهبا بين ايدى الدخلاء يغتصبونها الواحد تلو الاخر ، من امراء البلاد ، مرة بالزلفى والمغالطة، واخرى بالتهديد، فى صورة اوامر علية، تمنح الشرعية لعمل غير شرعي ، وتلغى اختصاص المحاكم التونسية لفائدة المحكمة الفرنسية ، وتضع تحت مراقبة السلط الفرنسية ، صلاحيات السلط التونسية ، وانشطة المؤسسات القومية ذات الارتباط المتين بعقيدة الامة ، ونظمها الشرعية .

فبعد أن أباحت مجلة الالتزامات والعقود التونسية مثلا فى فصلها 980 فيما بين التونسيين ـ واستناد الفتوى الشرعية ـ نظام الانزال الذى يجيز لمستحق الحبس العاجز عن استثمار عقاره المحبس لسبب من الاسباب ان يحيله او يسلمه للغير بوجه الكراء المعين المؤبد ، مع امكانية الزيادة فى القيمة الكرائية له بما يتلاءم مع تغيير الاسعار او تحسن حال العقار، تدخلت الحكومة الفرنسية لدى الباى ، وأجبرته على امضاء الامر العلى المؤرخ فى جانفى 1905 والقاضى بالزام

---

(2) راجع الاستهلال الذى نشره الاستاذ الهادى المدنى بالعدد الرابع لسنة 1971 من مجلة القضاء والتشريع ص 14 ـ 15 .

أصحاب الانزال بقبول بيع انزالهم هذا مقابل دفع معين الانزال ضمن مدة يختلف أمدها باختلاف قيمة المعين ، فان كان مقداره دون المائة ريال لزم للحصول على شرائه ورفع يد المالك الاصلى الابدية عنه أن يدفع المستلزم قيمة الانزال السنوى مضروبة فى خمسة وعشرين عاما ، وان كان مقداره يفوق العشرين فرنكا فان القيمة السنوية تضرب فى رقم العشرين فقط ، وبذلك يتخلص العقار من جميع الحقوق الانزالية والحبسية الموظفة عليه ، ويخرج من يدى جمعية الاوقاف التونسية جبرا ليتمحض لفائدة مشترى الانزال ، وغالبا ما يكون مستعمرا أجنبيا ؛ وذلك بعد ان عمدت سلطات الحماية الى استصدار الامر العلى المؤرخ فى 13 نوفمبر 1898 الذى يجبر ادارة الاوقاف التونسية على ان تقدم فى نهاية كل سنة قائمة لقسم الاستعمار بادارة الفلاحة تتضمن أسماء ومواقع الهناشر التى يمكن وضع اليد عليها مما ييسر احالة أغلب أراضى الاوقاف على المعمرين بثمن بخس يدفع مؤجلا على عشرين سنة باعانة الصندوق التونسى للقرض .

وفى سنة 1926 مثلا وبعد ان اشتكى احد مواطنى سوق الاربعاء الى الباى من مظلمة لم ينصفه فيها قائد الجهة ، واستمثل ببيت شعرى لاثارة همة الباى اعتبرت السلط الحاكمة ذلك هضما لجانب الحضرة الملكية ، واحالت الرجل من أجل ذلك على المحاكمة لدى المحاكم التونسية ، وما ان قررت هذه براءة الرجل وصدق مقالته حتى جن دولاب الاقامة العامة التى طلبت من الباى انتزاع الاختصاص بالنظر فى قضايا الاعتداء على أمن الدولة الداخلى والخارجى او محاولة تغيير نظام الحكم القائم او التعدى على الملك او أحد أفراد عائلته من صلاحيات المحاكم التونسية التى لم تدرك مغازى سياسة الحكومة ـ حسب رأيها ـ واحالتها على نظر المحكمة الفرنسية ، فما كان من الباى الا ان أصدر أمره العلى المؤرخ فى 29 جانفى 1926 بنسخ باب كامل من ابواب المجلة الجنائية التونسية ابتداء من الفصل 60 وانتهاء للفصل 80 منها ، سحب بموجبه من المحاكم التونسية حق النظر فى هذه الدعاوى وأوكل أمر البت فيها على حساسيتها وخطورتها وارتباطها بالكيان القومى لاختصاص المحاكم الفرنسية وحدها (3) .

---

(3) تراجع المحاضرة التى ألقاها الاستاذ محمد الطاهر السنوسى بطرابلس الغرب فى 30 يناير 1958 حول موضوع (التشريع التونسى بين القديم والحديث) والمنشورة ضمن كتيب من سلسلة دائرة التشريع التونسى ص 24 وما بعدها .

مما جعل الوطنيين يعطون أهمية بارزة لهذه التشاريع ويتحسسون من أخطارها ، ويتخذون المواقف العديدة لمواجهتها بالنقد اللاذع وبمشاريع التفتح ، بغرض التخفيف من حدتها ، ويطالبون باصدار التشاريع الاصلاحية لرعاية مصالح المواطنين التونسيين ، وحفظ حقوقهم الانسانية والاجتماعية ، ورعاية القوانين المؤسسة على قيم وطنية من الهدر والتجاوز، فيهتمون بمناقشة صلاحيات المجلس الكبير وتركيبه وطريقة انتخاب السلط المحلية وتركيب الهيأة البلدية ، وضبط أبواب الايراد والانفاق فى مشروع الميزانية العامة ونشر التعليم بين المواطنين التونسيين وتوسيع صلاحيات المحاكم التونسية مما ربط بين الحركة الوطنية والتطور التشريعي برباط وثيق عن طريق زعماء الاصلاح الوطنى من خير الدين ومحمد بن حسين وبيرم الثالث وعلى باش حانبة والثعالبى والرئيس الحبيب بورقيبة .. الخ .

ثالثا : **تأثر زعماء الحركة الوطنية بالنظم الاجتماعية والسياسية السائدة فى الدول الاروبية** ودعوتهم لاقرار تنظيمات صياغية او اجرائية مشابهة لما عليه الحال بتلك الدول تستوعب أوجه الاصلاح ، وتضمن للمواطن التونسى حقوقه الوطنية والانسانية الاساسية فى وطنه وتفكيره ومكاسبه على نحو يبلور حقه فى الحرية السياسية اللاستعمارية والكرامة البشرية ، مما كان له الاثر الواضح فى الحد من اطماع السياسة الاستعمارية وابراز مجموعة من التشاريع التى تحفظ للذاتية القومية كيانها المتميز ولو الى حد ما .

فالجنرال محمد حسين وشيخ الاسلام محمد بيرم الثالث والشيخ محمود قبادو والوزير الاكبر خير الدين باشا والوزير مصطفى صاحب الطابع ، والشيخ أحمد ابن ابى الضياف ، هالهم ما انحدرت اليه البلاد التونسية من جهالات الحكم الفردى وطغيانه ، فجأروا بالشكوى لاحمد باى وطلبوا اليه ان يحرر الانسان من استعباد الانسان ، وان يجرى نظاما ديمقراطيا على غرار ما اجراه السلطان محمود ، فاصدر فى ديسمبر 1842 وفى 26 جانفى 1846 أمرين أوجب فيهما تحرير سائر العبيد وتحجير الاسترقاق واعتبار ان كل من يولد بالبلاد التونسية حر ، غير ان ذلك لم يرض هذه النخبة فألف محمد حسين رسالة فى التنويه بمبادىء الحرية وذم الحكم الفردى ، كما الف الشيخ محمد بيرم الثالث رسالة فى تحبيذ الشورى وفضائلها يسرت على الباى محمد (بالفتح) بن حسين بالاضافة الى مجموعة من العوامل الاخرى اصدار منشور فى الوعد بابراز قانون عهد الامان وتشكيل ديوانى الجبايات والتجارة ، وقد وفى فى 9 سبتمبر 1857 باعلان عهد الامان الموعود ، ثم تلاه اخوه

الصادق باى الذى التزم عند البيعة بنفاذ قواعد عهد الامان واحترامها ، وامر باحداث مجلس الجنايات والاحكام العرفية ومجلس التحقيق ، الذى كان بمثابة محكمة استئناف لاحكام مجلس الجنايات ، وعمم المجالس الابتدائية المنبثقة عن مجلس الجنايات والاحكام العرفية المتمركز بتونس،وبكل من القيروان وسوسة وصفاقس والاعراض وجربة وباجة والكاف وبنزرت والجريد ، تؤازرها مجموعة من محاكم النواحى التى تختص بالبت فى القضايا البسيطة والمخالفات ، وتدعى بمجالس الضبطية ، كما احدث المجلس الاكبر الذى اوكل اليه قيادة الجهاز العدلى ، فاناط بعهدته توضيح المشكلات القانونية وتفسير المقاصد الشرعية وبيان عوائص المسائل المغلقة والسوابق القياسية والاجابة عن جميع الاسئلة التى ترد اليه من مختلف مجالس الجنايات ، على ان يتولى الرائد الرسمى التونسى نشر اجوبته عليها وتفسيراته وتوجيهاته القانونية فوق صفحاته ، وذلك عملا بمقتضيات الفصلين 24/26 من دستور عهد الامان (4) كما اصدر فى شوال سنة 1277 هـ (1871 م) مجموع القوانين المتولدة عن روح عهد الامان ومنها على الخصوص قانون ترتيبى ذو طابع اجرائى يدعى بقانون الخدمة الداخلية لمجلس الجنايات ومجلس التحقيق ويحتوى على 27 فصلا ومجلة قانونية جامعة للمبادىء والاحكام القانونية المدنية والجزائية الواجبة التطبيق من طرف مجالس القضاء وتحتوى على 664 فصلا منها 124 فصلا تتعلق بتراتيب اجرائية .

وبالرغم من الدسائس التى حيكت بايحاء من قناصل الدول الاوروبية والتى دفعت بالصادق باى فى غرة ماى 1864 الى الامر بتعطيل سائر المجالس المحدثة تنفيذا لعهد الامان والذى جاء به (ان المصلحة اقتضت ان المجلس لا يباشر فصل النوازل ، فالعمل ان تنبه على سائر الاعضاء بذلك ، والسلام) بعلة ان الرعايا يشتكون من تطويل فصل نوازلهم فى مجالس الاحكام ، وتمنوا بسبب ذلك عدم التقيد بتلك المجالس ، لذلك جعلناهم مخيرين فى نشر جميع نوازلهم لدى من شاؤوا من المحاكم الشرعية ومجالس السياسة والعمال ، ثم من اراد رفع نازلته الى حضرتنا فباب محكمتنا مفتوح لكل متظلم كالعادة السابقة ، كما جاء ذلك بمنشوره الصادر خلال شهر أفريل 1864 .

ـ للبحث صلة ـ

---

(4) راجع المرسوم الملكى المؤرخ فى 13 رجب 1277 الصادر فى بيان مدى الاصلاح القضائى ومرجع النظر الحكمى المخول للمجالس المحدثة بمقتضى عهد الامان .

الضياع

بقلم : نعيمة الصيد

تلومني الدنيا اذا أحببته

كأنني ... أنا خلقت الحب واخترعه

نزار قباني

القاعة نصف معتمة ... جسدان عاريان تحت اللحاف ... تفصلهما مليمترات صغيرة ... كانت منفعلة قليلا ... لم تبذل جهدا فى تقليص هذا الانفعال الا انها كانت تحس بكل الخطوط التى تحرر الاثواب عن الاجساد ... عيناها كثيرا ما يخطف نظرهما وجهه التعس بعض الشىء ... قرب السقف خيوط سوداء متشابكة ... الجدران تغطيها رفوف كتب عالق بها غبار السنين ... أشاحت بوجهها عن قطع ثيابها المبعثرة على أرض الغرفة .. تحرك تحت ناظريها ... مديده العارية من تحت اللحاف ... أخذ سيجارة وأشعلها ... تجول بيديه ... يداها بين يديه ووجهها مغلق على بضع خطوات من البداية ... وهى لا تريد تجاوز أية لحظة ستأتى ... أو هما فيها ... كفها مقفلة بكفه ... أطفأ سيجارته ... وفى لحظة حطت نظراتهما بعضها على بعض ... كل الثوانى التى يترددان فى امتلاكها كانت تمشى معهما ...

هل جاءت ساعة العصيان الكبرى ..؟

جسدها كان مسترخيا ... ضلوعها متوترة ... والسياج الذى كان يجمعهما تخترقه الآن سيول من المداعبات ... اى احتفال يقومان به الآن ..؟ أنوثتها تبدو كزهرة تركض جذورها فى الارض والسماء ... وهى تريد تبديد نفسها تماما ... احتضنها بحب وهمس :

ـ أحبك ... أنت رائعة ... منعشة ...

مثل جميع العشاق كانا في نفس الوقت من الموتى ومن الاحياء والغرفة كانت تتميز بهما ٠٠ شفاههما كانت مرهقة ٠٠٠ حملت سنوات من القحط ٠٠٠ وكانت تشعر انها ذات أرواح متعددة ٠٠٠ العناق ٠٠٠ وتكاثر الالم ٠٠٠ وطول النهر الذى عليهما قطعه ٠٠٠ وألغام الماضى ٠٠٠ يريدان التخلص منها جميعا ٠٠٠

علمها المجتمع أن الآخر هو الحى الباقى ولم يعلمها أحد أن « هو » هو الحى ... أما الباقى فقد كان لها وحدها ٠٠٠ البؤس ..... الكآبة ٠٠٠ العزلة ٠٠ واشاعات الناس ٠٠٠ كلها تشطر رأسها ٠٠٠ ضمته بعينيها وهمست :

ـ أحبك ٠٠٠ أحبك ٠٠٠

من يحفر ذاكرتها الآن يجد فيها جثة الآخر ٠٠٠ الآخر ٠٠٠ أوه ... عندما تذكره تأخذها رغبة فى صفعه ٠٠٠ يقول لها آخر الليل :

ـ أحبك ٠٠٠

وهو لا يرى فيها الا وعاء يضيع فيه توتره البيولوجى ٠٠٠ عندها يشيح بوجهه عنها ٠٠٠ ويدير لها ظهره ٠٠٠ انه يرى نفسه انسانا أما هى فمجرد وعاء ... لا يدرى أن القدرة على الحب تعتمد قدرة الانسان على ادراك الشخص الآخر وحقيقته والاعتراف به ٠٠٠

وجهها مغروس تحت ابطه ٠٠٠ وفكرها يستيقظ على الفضول ٠٠٠٠٠

فضول الخطوات من كل ما سيأتى ٠٠٠ ومما يكادان يرفضان تكذيبه٠٠٠

تمتمت وهى تستكين هادئة فى أحضانه :

ـ أريد أن أحبك فقط ٠٠٠ حبك جنونى أصفع به الحياة كلما ادركت تفاهة الحياة ٠٠٠ حبك جنونى ٠٠٠ أحبك

كان وجهه قد بزغ تماما ، عميقا ، جادا ، ومترددا ٠٠٠٠ هذا الوجه من الآن سيكون آدميتها ٠٠٠

عندما تعرفت عليه أول مرة٠٠٠كانت تشع فى عينيه كالشرارة٠٠٠كان جسدها مسكونا بمرايا عاكسة ٠٠٠ وكانت تعرف قيمة هذا الانعكاس فى

عيون الآخرين ··· لقد سمعت كثيرا من المراهنات عليها ... لم تسأله ان دخل الرهان أيضا ··· ولكنه استطاع أخذها تماما منذ أول لقاء ···

ابتسم ببساطة ··· أسندها الى الورك ··· والغرفة بلا نهاية وعيناهـا تحدقان فى بئر عينيه العميقتين بالمودة ··· وصدرها تحته ··· وأصابعه ترتجف على قلبها ····

قال :

ـ خائفة ··؟

ـ أجـل ···

من بعيد يبدو عدم الخوف معجزة ··· أما الآن فان الخوف هو المستقبل .. تصرخ ··· تطوقه بذراعيها ··· تريد التخلص من هذه الرتابة التى تقودها الى القهر ... يتلامس صدراهما بشكل حاسم ··· تستمر ···

ـ هذا الهوى اليائس ترى متى يعتلى مكانه تحت الشمس ··· ؟

تنظر الى ملابسها المكومة على الارض ··· تقبله من ذقنه ومن رقبته ··· تثرثـر :

ـ تصور أننى ملكة وأنت ملك ··· نحيا فى مدينة بلا رعية ··· ونصدر قوانين على فراغ ...

ـ دعينا من الملوك ورتابة عيشهم ···

ويتعانقان ··· قامتها تتوسد قامته ··· والاتحاد كان يقلص بين لحظة واخرى من مسافة صغيرة بين الحزن والسعادة ··· تعرف أنها ستنصرف فى الساعة المحددة لانصرافه ··· قبله قليلا ··· وكان سيظل بينهما دوما نوع من الاسف ... فمها مضطرب ··· ريقها ناشف ··· واللحاف صار معصورا تحتهما ···

أوه الآخر ··· تذكره بحدة ··· كم مرة أخذها وهى خاضعة لوحشيته ··· وكم مرة قالت له :

ـ أعشق الحنان ··· لاتشنج العضلات ···

قالت له هذا وهى تقصيه عنها بصعوبة ٠٠ يا إلاهى كم مرة يقدر الانسان أن يبدو حقيقيا مع نفسه ٠٠٠؟

جسدها يدمرها استعداده ٠٠٠ ويداها تستطيعان فى هذه اللحظة تهديم أوثان العفونة التى غطى بها الآخر ذاكرتها ٠٠٠ كانت فى صدرها طبقات من الخوف ٠٠٠ ولكن رحلتها معه أظهرت كل مفاجآت جسارتها ٠٠٠ فى ثوان تم كل شيء ... وخلال ثوان لاح لها السقف يهتز معها ٠٠٠ وروحها متدثرة بفرح لا حد له ٠٠٠ ولكن الانفصال يأتى ٠٠٠ وسيكونان دائما على حافة الهدنة ٠٠٠

ـ لماذا ٠٠؟

ـ ان الفخاخ تصطادنا ٠٠٠ ولا نريد تصحيح أنفسنا ٠٠٠

استرخى بهدوء ٠٠٠ أشعل سيجارة ٠٠٠ لسانها ناشف ... جسدها يبدو مطوقا باللعنة من كل جانب ٠٠٠

تقبله بهدوء ٠٠٠ تقوم على مهل ... تضغط على الزر الكهربائى ٠٠٠٠٠ تنار الغرفة ٠٠٠ تمر بيديها على شعرها سريعا ٠٠٠

تلتقط ملابسها على عجل ٠٠٠ يتدفق فيها طوفان صمت جليل يمتزج بأحلام رائعة ٠٠٠ يجعل منها كائنة ضعيفة ٠٠٠

اقترب منها ٠٠٠ طوقها بذراعيه ٠٠٠ ضغط ٠٠٠ عصر جسدها ... هتف :

ـ انت جنتى ٠٠٠ أحبك ٠٠٠ أحبك ٠٠٠

تنظر فى عينيه وتشير عليه بالصمت ٠٠٠

تقبله قبلة هادئة ٠٠٠ تخرج وبسرعة تكون وسط الشارع ٠٠٠ شارع هادىء يؤدى الى دارها ٠٠٠ نفيره فى أذنيها ٠٠٠ خياله محفور على جدار ذاكرتها ٠٠٠ تسير ... وتسير ٠٠٠ نقطة ضائعة فى جغرافية الوجود ٠٠٠٠

ن٠ ص٠

مطالعات

الشعر التونسي المعاصر

تأليف محمد صالح الجابرى

عرض عبد الستار بن فرج

طلع علينا اخيرا كتاب من تأليف الاستاذ محمد صالح الجابرى ونشر الشركة التونسية للتوزيع يتناول بالدرس قضية أساسية من قضايا أدبنا المعاصر هى « الشعر التونسى خلال قرن » أى من سنة 1870 الى سنة 1970 .

ولئن كان أدبنا المعاصر ككل محتاجا شديد الاحتياج الى الدراسات النقدية العميقة المختصة فان شعرنا على الاخص احوج الى مثل هذه الدراسات لان الشعر كما يقول الاستاذ المؤلف « كان وسيظل السفر الاول من أسفار التراث الادبى لهذه الامة العربية من مغربها حتى مشرقها » . هكذا اذن وفق الجابرى فى اختيار الموضوع . بقى ان نرى الى اى مدى وفق فى دراسته ؟

يحق لنا ان نقول اولا ان موضوع الكتاب كثير التشعب بكر قليلون هم الذين يملكون من الشجاعة والعزيمة والمثابرة فيبادرون بزمام السبق ويجازفون بدراسته على ما فيه من متاهات وصعوبات. أقول هذا لا من باب الشكر لانى اعلم ان الجابرى غنى عن ذلك وانما لاكون حليما فى حكمى على هذه الدراسة التى حاول فيها المؤلف «المزاوجة بين ما اعتبره دراسة اولية لجوانب من الحياة الفكرية والاجتماعية والسياسية التى لها مساس بالشعر وبين انتقاء مختارات من جيد شعرنا فيها ملامح كل جيل » .

تأخذ الكتاب فتعجب باخراجه : ورق جيد وطباعة متقنة وتنظر الى فهرسه فتجده مقسما تقسيما تاريخيا يتفاوت فى الطول تفاوتا راجعا الى كمية المادة الشعرية وقيمتها فى كل فترة من هذه الفترات المدروسة والتى يبوبها الكاتب كما يلى : الباب الاول من : (1869 ـ 1881) الباب الثانى من : 1881 ـ 1914) الباب الثالث من : 1914 ـ 1934 الباب الرابع من : 1934 ـ 1940) الباب الخامس من : (1940 ـ 1970) .

وتأخذ في مطالعة الكتاب فتجدها يسيرة لوضوح طباعته وسلاسة اسلوبه، وتفتش عن المادة المعروضة فتجدها دسمة لكنك تلاحظ ان تحليل هذه المادة تحليل لا هو بالمتعمق ولا هو بالسطحي وانما هو من نوع « بين بين » ٠ ولعل للمؤلف عذرا في ذلك اذ ان الميدان شاسع وبكر ولا يمكن الاتيان على كل الدقائق في سفر واحد وفي محاولة اولى ٠

ومن أمثلة هذه التحاليل البين بين دراسة الجابري للثالوث الرومانسي اى الشابي والبشروش والحليوى ودراسته لمحمود بيرم التونسي وغيره من الاعلام الذين ما زال انتاجهم مجهولا او يكاد ويتطلب من نقاد الادب في بلادنا العناية والبذل ٠

وعلى كل فلا لوم على مؤلفنا في هذا التقصير اذ يكفيه ان أفادنا في هذه المرحلة الاولى بجمع تراث شعرى مشتت بين عشرات الصحف والمجلات والدواوين ويكفيه ان مهد الطريق للدارسين في المستقبل بتعريفه للخطوط العريضة والاساسية لشعرنا التونسي المعاصر ٠

ولعل أهم ما أفادنا به الجابري في هذه الدراسة هو كشفه عن جوانب غير معروفة من حياة الكثيرين ممن تناولهم بالدرس كشفا صريحا مكنه ولا شك من تسليط اضواء جديدة على انتاجهم بمختلف اتجاهاته ٠ فحديث الجابري عن ماجد او صمود او نعمان او المطوى او صمادح فيه ما قد يحرج اصحابنا ولكنه مع ذلك مفيـــد ٠

بقيت ملاحظة لا بد لي من ذكرها وهي ان الجابري كان وطنيا ملتزما في تأليفه هذا اذ انه اعتنى اعتناء بالغا بالربط بين ما كان يجرى على الصعيد السياسي اثناء معركة التحرير وبين ما كان يصحبها من تيارات أدبية انعكست انعكاسا واضحا في نفوس شعرائنا ٠

وتتجلى وطنية الجابري أكثر في تقديره للشعراء الذين التزموا بقضايا هذا الشعب تقديرا فاق اعتناءه بالاخرين ٠ ولا أدل على هذا من افراد الكاتب صفحات عديدة لبيان ما كان يكتب في الصحافة في هذا الموضوع الحياتي وصفحات عديدة اخرى لبيان وطنية خزندار وبيرم التونسي وصمادح ، وأخيرا افراده فصلا كاملا عن الشعراء الواقعين الاشتراكيين الذين التزموا بقضية العامل والفقير والمقهور وبصورة عامة بقضية هذه الامة في معركة التنمية العامة ٠

أصداء الفكر

* **المجلة القانونية :**

قام مؤخرا مركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية بنشر مجلة جديدة تحت عنوان « المجلة القانونية » يصدرها قسم القانون التابع للمركز • وقد اتصلنا بالعدد الاول من هذه المجلة فوجدناه حافلا بمقالات تتناول مواضيع شتى في القانون المدني والقانون العام ومتضمنا قسما كبيرا لفقه القضاء التونسي وذلك سعيا الى مساعدة طلبة الحقوق ورجال القانون • كما تشتمل هذه المجلة على قسم خاص بالتشريع التونسي •

ومجلة « الفكر » تنوه بهذا العمل الجليل الذى أقدم عليه مركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية ، وترجو أن يلقى من الباحثين ورجال القانون ما هو جدير به من مساندة ومؤازرة •

* **المؤتمر الأول لتاريخ المغرب وحضارته :**

انعقد مؤخرا بتونس المؤتمر الاول لتاريخ المغرب وحضارته الذى تولى تنظيمه مركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية بمشاركة علماء في التاريخ وباحثين جامعيين من تونس ومن غيرها • ويمثل هذا المؤتمر باكورة نشاطات قسم التاريخ في مركز الدراسات • وقد أحدث هذا القسم منذ سنتين وفي هذا إبراز لما أصبح يوليه المركز لدراسة تاريخ المغرب من أهمية •

* **مهرجان ابن رشيق :**

صار الآن من المتأكد أن مهرجان الذكرى الالف للعلامة ابن رشيق سينظم أيام 20 ـ 21 ـ 22 مارس المقبل بالقيروان كما علمناه من اتحاد الكتاب التونسيين • وإذ قد وجهت الدعوة الى شخصيات مغربية وجزائرية ومصرية وسورية وفلسطينية فان الردود لم تصل من سوى اتحاد الكتاب الجزائريين واتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، لكن الاستعدادات لاقامة المهرجان تجرى حثيثا •

* **جوائز للصحافة :**

لأول مرة تخصص جوائز لأحسن من قدموا عملا صحافيا خلال السنة وقد تم توزيعها خلال حفل بهيج بنزل افريكا حضره سيادة الوزير الاول وعدد كبير من الشخصيات السياسية والعلمية والفنية • ومما يجدر ذكره أن رئيس لجنة التحكيم هو السيد محمد مزالي مدير « الفكر » •

كتب جديدة

« سيكولوجية القصة فى القرآن »
تأليف : الدكتور التهامى نقرة
650 صفحة ـ الثمن : 2.500 د. ت.
نشر الشركة التونسية للتوزيع

عرف الدكتور نقرة بدراساته الدينية القيمة التى طالما نشرتها له مختلف المجلات بتونس وغيرها ، وهو يتحفنا اليوم بهذا العمل الاساسى الذى لا شك أنه استنفد منه جهدا ووقتا كبيرين والذى كان قدمه الى جامعة الجزائر للحصول على دكتوراه الحلقة الثالثة .

ويشتمل الكتاب على بابين عامين خصص أحدهما للبحث النظرى وفيه ستة فصول : (مصدر القصة القرآنية ، المنهج القصصى للقرآن ، التكرار فى قصص القرآن ، أنواع القصص القرآنى ، جوانب المعرفة فى قصص القرآن ، عرض ونقد لمنازع المفسرين) ، ما الباب الثانى فمخصص للبحث التحليلى وفيه خمسة فصول : (تحليل القصة القرآنى ، عناصر القصة القرآنية ، عوامل التأثير فى قصص القرآن ، نظرات فى قصة يوسف ، الجانب التربوى فى قصص القرآن) ، ويشتمل الكتاب الى ذلك على عدة فهارس وثبت بالمصادر تهانينا الصادقة للاستاذ التهامى نقرة على عمله القيم ، وخالص الشكر على النسخة التى اهدانا اياها .

* * *

« المعرى وجوانب من اللزوميات »
تأليف : محمد الحبيب حمادى
128 صفحة ـ الثمن :
نشر الدار التونسية للنشر

الى جانب ما كتب من دراسات مطولة عن المعرى لا يمكن أن يوصف هذا التأليف الجديد الا بشدة الاختصار ، على انه من الجائز أن يكون فيه من العون لذاكرة الطلبة والتلاميذ ما يضمن الاقبال عليه والاهتمام به ، ومن هذه الناحية يكون المؤلف قد زكى رصيد المكتبة المدرسية ونماه .